جورج برنارد شو

الميجور باربارا

دار أسامة

المیجور باربارا

الكتاب: الميجور باربارا

تدقيق: محمد باكير

ترجمة: محمد طريف فرعون

طباعة: دار أسامة- دمشق

الجمهورية العربية السورية- دمشق جسر فكتوريا

ص.ب ٤٣٠٦- هاتف ٢٢٣٢٣٢٦- فاكس ٢٢٤٨١٨٠

جورج برنارد شو

الميجور باربارا

" ترجمة كاملة عن النص الإنكليزي "

ترجمة

محمد طريف فرعون



دمشق - مجمع فكتوريا التجاري- هاتف ٢٢٣٢٣٢٦ - ص.ب: ٤٣٠٦

الإهداء

****

إلى كلّ الحالمين بالأمن والسلام...

أزف إليهم مسرحية برنارد شو "**الميجور باربارا**" ليعلموا أن الأمن والسلام لا يوجد بدون قوّة تفرضُه وتحميه...

الناشر

تقديم

محمد طريف فرعون

****

جورج برنارد شو:

أعظم كاتب إيرلندي كتب مسرحيات باللغة الإنكليزية، ولـد في دبلـن عـام ١٨٥٦م، والده جورج كار شو أصغر إخوته الثلاثة عشر، عمل موظفاً صغيراً في محكمة دبلن.

درس برنارد شو في دبلن إلى سن الخامسة عشرة، ثم عمل كاتباً ومحاسباً، ثـم لحق بوالدته إلى لندن في عام ١٨٧٦م والتي عملت هناك كمدرسـة للموسـيقى ومغنية في الأوبرا.

هجر شو الكنيسة منذ صغره لأنه كان يرى أنها ابتعدت عـن تعـاليم المـسيح الحقيقية، ورغم أنه لا يعتبر نفسه مسيحياً إلا أن أفعاله كانت تدل على أنه رجل ملتزم دينياً، كان يشعر بقدسية الحياة، ولا يأكل اللحم، ولا يشرب الخمـر، ولا يدخن، وكان طيباً وكريماً مع أصدقائه، وكان يرى أن واجب الإنسان أن يكافح من أجل أن يجعل العالم مكاناً أفضل للحياة.

أصبح نباتياً عندما كان في الخامسة والعشرين، وتأثر بذلك بالشاعر الإنكليـزي شيلي، ولكن دافعه الأقوى لذلك شعوره أن الحيوانات هي مخلوقات يجب أن لا تذبح من أجل مصلحة الإنسان.

أولى مسرحياته هي "**أرامل المنازل**" مثلت في لندن عـام ١٨٩٢م، وتتعـرض لاستغلال ملاك المنازل للمستأجرين الفقراء..لم تلق مسرحيته هذه نجاحاً يـذكر لغرابة موضوعها عن المجتمع الإنكليزي، إلا أنه استمر في كتابة المـسرحيات

وعالج مواضيع أكثر جدية مثل مشكلة البغاء في مسرحيته " **مهنة وارين**" والحرب في "**السلاح والإنسان**" والتعصب الديني في "**شيطان الحواري**"، إلا أن مسرحياته لم تلق نجاحاً باهراً إلا فيما بعد..

في عام ١٩٠٤م أعيد عرض مسرحياته ولاقت نجاحاً باهراً إلى درجة أن عرضت إحدى عشرة مسرحية من مسرحياته ٧١١ مرة في عام ١٩٠٧م.

وأصبح برنارد شو بعد عرض مسرحيته الساخرة "**الإنسان والسوبرمان**" أشهر كاتب مسرحي في العالم بعد شكسبير مباشرة ونال جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٢٥م.

كتب برنارد شو خمسين مسرحية ترجمت إلى معظم لغات العالم، وتوفي عام ١٩٥٠م عن خمسة وتسعين عاماً.

كتب برنارد شو مسرحيته "**الميجور باربارا**" عام ١٩٠٥م، وكان في الخمسين من العمر، واختار أن تدور أحداثها حول جيش الخلاص لأن أعضاءه كانوا شديدي الحماس الديني، كان ذلك واضحاً في أغانيهم وخطبهم الرنانة، كانوا يحاربون العدو، والسؤال الذي طرحه شو هو " من العدو؟"

جواب جيش الخلاص واضح العدو هو الشيطان..ولكن شو أراد أن يُظهر أنَّ العدو هو الفقر، الشر الذي ينشأ عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

كان جيش الخلاص يعظ الناس الفقراء ويقدم لهم الطعام والمأوى، ولكن شو رأى أن الطعام والمأوى رغم أنه يقدم لهم بقلوب صافية ومن وازع ديني إلا أنه أصبح رشوة تقود بأولئك الذين يتلقون تلك المساعدات بالتظاهر أنهم قد اهتدوا دينياً من أجل عدم قطع تلك المساعدات عنهم.

وفي "**الميجور باربارا**" يُظهر برنارد شو المعروف بمناهضته للحروب والدمار الصراع القائم بين بائع أسلحة الدمار" **أندرشافت**" وبين أفكار الخــلاص ممثلــة بابنته "**باربارا**" ويبدو في النهاية أن أفكار تدمير الأرواح قد انتصرت على أفكار إنقاذها وخلاصها.

التحقت باربارا بجيش الخلاص معتقدة أنه بوسعها تخليص البؤساء من تعــاطي الخمر ومن ويلات الحروب، إلا أنها اكتشفت أن المساعدات المالية التي تقــدم للجيش مصدرها منتج الخمر ومنتج أسلحة الدمار، وكان ذلك بمثابة صدمة هائلة لها أدت بها إلى أن تترك جيش الخلاص وتعيد النظر في حساباتها.

ماذا حصل بعد ذلك...؟

أترككم مع هذه المسرحية الرائعة لتعرفوا بأنفسكم..

محمد طريف فرعون

****

الشخصيات

****

الليدي برايتمورت: زوجة أندرشافت.

ستيفن أندرشافت: ابن الليدي برايتمورت.

سارة أندرشافت: ابنة الليدي برايتمورت.

تشارلز لوماكس: خطيب سارة.

باربارا أندرشافت: ابنة الليدي برايتمورت ومتطوعة في جيش الخلاص برتبة ميجور.

أدولفوس كاسوس: شاب يوناني يدرّس اللغة الإغريقية، خطيب باربارا.

أندرو أندرشافت: لديه مصانع لإنتاج مختلف أسلحة الدمار، مليونير كبير.

لازاروس: شريك أندرو.

رومي ميتشنس: امرأة فقيرة.

برونز برايس: رجل فقير.

بيتر شيرلي: عجوز فقير.

جيني هيل: فتاة متطوعة في جيش الخلاص.

بيل ولكر: فقير معدم يبحث عن ابنته في مقر جيش الخلاص.

****

الميجور باربارا

****

الفصل الأول

صانع الأسلحة

بعد العشاء في أحد أيام شهر كانون الثاني عام ١٩٠٦م في مكتبة منزل الليدي برايتمورت أندرشافت في ويلتون كريسنت توجد أريكة واسعة ومريحة في منتصف الغرفة، سيكون على يمين الشخص الذي سيجلس عليها طاولة كتابة تجلس عليها الليدي، وطاولة كتابة أخرى أصغر منها خلفه، الباب خلفه وتوجد نافذة إلى يساره بجانبها.

الليدي برايتمورت في الخمسين من العمر، لا تهتم بأناقتها ولا بطريقة كلامها.

يدخل ابنها ستيفن، إنه في الخامسة والعشرين، جدي للغاية.

ستيفن: ما الأمر؟

الليدي برايتمورت: ستيفن.

يتقدم ستيفن ويجلس على الأريكة، يمسك جريدة أسبوعية ليبرالية تدعى "المتحدث"

الليدي برايتمورت: لا تبدأ بالقراءة يا ستيفن..انتبه إليَّ.

ستيفن: أقرأ بينما أنتظر...

الليدي برايتمورت: لا تختلق الأعذار يا ستيفن...[يضع الصحيفة جانباً] الآن [تنهض من مكانها وتقترب منه] لن أدعك تنتظرني طويلاً، أحضر لي الوسادة. "تجلس ويأخذ الوسادة من الكرسي ويقدمها لها" لا تلعب بربطة عنقك يا ســتيفن لا شيء بها.

ستيفن: عفواً [يلعب بسلسلة الساعة]

الليدي برايتمورت: هل أنت مصغ إليّ يا ستيفن؟

ستيفن: طبعاً يا أمي.

الليدي برايتمورت: لا..ليس طبعاً، أريد انتباهاً أكثر..سأتحدث إليــك بكــل جديّة يا ستيفن، لا تلعب بسلسلة الساعة.

ستيفن: [يدع السلسلة] هل فعلت شيئاً أزعجك يا أمي؟

الليدي برايتمورت: لا أبداً..هل ظننت أنني غاضبة منك؟

ستيفن: ما الأمر إذاً يا أمي؟

الليدي برايتمــورت: ستيفن..متى ستدرك أنك أصبحت شاباً وأننــي مجــرد امرأة؟

ستيفن[مدهوشاً]: مجرد امرأة؟!

الليدي برايتمورت: لا تكرر كلماتي من فضلك، هذه عادة سيئة يجب أن تتعلم أن تواجه الحياة بجدية يا ستيفن، أنا لا أستطيع تحمل أعباء الأسرة بمفردي، أريدك أن تنصحني وأن تقوم بمسؤولياتك.

ستيفن: أنا؟

الليدي برايتمورت: نعم أنت..طبعاً، بلغت الرابعة والعشرين في أيار الماضي، ذهبت إلى جامعتي هارو وكامبريدج، وسافرت إلى الهند واليابان وتعرف الكثير من الأشياء إلا إذا أمضيت وقتك بأشياء يندى لها الجبين...هيا انصحني.

ستيفن: أنت تعلمين أنني لم أتدخل يوماً في أمور البيت.

الليدي برايتمورت: أنا لا أريدك أن تتدخل في أمور البيت، ولا أن تطلب من الخادمة إعداد العشاء.

ستيفن: أعني في أمور العائلة.

الليدي برايتمورت: يجب أن تتدخل الآن.

ستيفن: شعرت أحياناً أنه يجب أن أتدخل، ولكن أنا لا أعرف الكثير عنهم والذي أعرفه مؤلم للغاية..مستحيل أن أذكر لك تلك الأشياء [سكت شاعراً بالخجل]

الليدي برايتمورت: هل تقصد والدك؟

ستيفن: نعم.

الليدي برايتمورت: لا نستطيع المضي في حياتنا دون أن نذكره، أنت محق في عدم فتحك للموضوع إلا عندما طلبت منك ذلك، ولكنك بلغت سناً كافية لكي تجعلني أثق بك ولتساعدني في التعامل مع البنات.

ستيفن: لا مشكلة في البنات، لقد خطبنّ جميعاً.

الليدي برايتمورت[برضى]: نعم..خطيب سارة رجل رائع، سيصبح تشارلز لوماكس مليونيراً في عمر الخامسة والثلاثين، ولكن هذا بعد عشر سنوات، وفي هذه الفترة لن يستطيع الأوصياء على تنفيذ وصية أبيه إعطاءه أكثر من ٨٠٠ جنيه سنوياً طبقاً لوصية والده.

ستيفن: ولكنها تذكر أيضاً أنه إذا تمكن من زيادة دخله بمجهوده الخاص فسيضاعفون له المبلغ.

الليدي برايتمورت: جهود تشارلز لوماكس ستسبَّبُ بإنقاص دخله لا بزيادته ستجد سارة ٨٠٠ جنيه سنوياً خلال العشر سنوات القادمة، وسيكونان فقراء كفأري كنيسة، وماذا عن باربارا؟ أعتقد أنها ستوفق في عمل هام أكثر منكم

جميعاً ولكن ماذا فعلت؟ التحقت بجيش الخلاص[1] وصرفت خادمتها وتعيش على جنيه واحد أسبوعياً، وذهبت في إحدى الليالي مع أستاذ لغة يونانية التقت به في الشارع وادعى أنه من جيش الخلاص وشغف حباً بها بعد ذلك.

ستيفن: لقد دهشت عندما علمت بنبأ خطوبتهما، بالتأكيد إن كاسوس رجل لطيف جداً ولن يحزر أحد أبداً أنه ولد في أستراليا، ولكن..

الليدي برايتمورت: أوه...أدولفوس كاسوس سيكون زوجاً صالحاً لها بالتأكيد، لا أحد يستطيع قول شيء ضد اليونان، فاليوناني رجل مثقف، وشكراً لله أنه ليس أحد التوريون[2] فنحن هويغيون[3] نؤمن بالحرية، دع الناس تقول ما تشاء، باربارا ستتزوج الرجل الذي أريد أنا لا الذي يريدونه هم.

ستيفن: أنا أفكر في دخله، عموماً إنه ليس من النوع المبذر.

الليدي برايتمورت: لا تكن شديد الثقة بهذا الأمر يا ستيفن، اعرف نمط الأشخاص أمثال أدولفوس الهادئين البسيطين المهذبين والشاعريين، إنهم يصرفون أكثر من الأشخاص المبذرين، أظن أن باربارا ستحتاج على الأقل

****

١- جيش الخلاص: منظمة شبه عسكرية لنشر الدين ومساعدة الفقراء، أنشأها في إنكلترا وليم بوت عام ١٨٦٥م....المترجم.

٢- التوريون: تسمية تطلق على أعضاء حزب المحافظين البريطانيين.

٣ – الهويغيون: تسمية تطلق على أعضاء حزب الأحرار البريطاني.

مبلغ ٢٠٠٠ جنيه سنوياً، أما أنت فيجب أن تتزوج قريباً، لا أحب موضة الشباب العزاب المتفشية حالياً، سأحاول إيجاد عروس مناسبة لك.

ستيفن: هذا لطف منك يا أمي، ولكنني أفضل إيجاد العروس بنفسي.

الليدي برايتمورت: لا..أنت صغير على إيجاد العروس بنفسك، ستعجبك إحدى الجميلات التافهات، طبعاً هذا لا يعني أنني لن أستشيرك..[أغلق ستيفن عينيه وزمّ شفتيه] لا تقطب جبينك يا ستيفن.

ستيفن: أنا لا أقطب جبيني يا أمي، ما علاقة كل هذا بأبي؟

الليدي برايتمورت: آه يا عزيزي ستيفن، من أين سنأتي بالمال؟ من السهل عليك أنت وشقيقاتك أن تعيشوا على دخلي طالما أنتم معي في نفس المنزل ولكنني لا أستطيع الصرف على أربع عائلات في أربع بيوت منفصلة، أنت تعرف مقدار فقر أبي، دخله يصل بالكاد إلى سبعمائة جنيه سنوياً، وبصراحة لو لم يكن إيرل ستيفينج لكان اعتزل الناس، إنه لا يستطيع عمل شيء لنا، ويقول: وهذا طبيعي جداً أنه لا يعقل أن يصرف على أطفال رجل غني، أرأيت يا ستيفن، والدك غني بلاشك لأن هناك دائماً حرب تنشب في مكان ما من العالم.

ستيفن: لا داعي أن تذكريني بهذا يا أمي، لم أفتح جريدة في حياتي دون أن أرى اسمنا يذكر فيها، طوربيدات أندرشافت، مدافع أندرشافت السريعة، متاريس أندرشافت، غواصات أندرشافت، والآن طائرات أندرشافت..كان أصدقائي في

هارو وكامبريدج يذكروني دائماً بذلك، حتى إن أحد الطلاب المشاكسين كتب تحت عبارة الإهداء التي كتبتِها لي على الإنجيل الذي أهديتني إياه في عيد ميلادي " ابن ووريث أندرشافت ولازاروس المتعاملين بالموت والدمار" ولكن ذلك لم يكن على درجة كبيرة من السوء لأن الجميع كان يتملقني باعتباري ابن مليونير جمع ثروته من تجارة الأسلحة.

الليدي برايتمورت: لا تنس قروض الحرب التي قام بها لازاروس، هذه فضيحة يا ستيفن، هذان الرجلان أندرو أندرشافت ولازاروس كانت أوربا طوع بنانهما، ولهذا يتصرف والدك بالطريقة التي يتصرف بها، إنه فوق القانون، هل تعتقد أن بيسمارك أو غلادستون أو ديزرائيلي كانوا يستطيعون عمل أكثر مما عمل والدك؟ إنهم لا يجرؤون..لم يستطع غلادستون ولا جريدة التايمز ولا اللورد تشامبرلين على فعل شيء ضده، لم يجرؤوا على ذلك.

ستيفن: وماذا بوسعهم أن يفعلوا؟ إنه لم يخرق القانون.

الليدي برايتمورت: لم يخرق القانون؟ إنه يخرقه دائماً، لقد خرق القانون منذ أن ولد إذ لم يكن والداه متزوجين.

ستيفن: أهذا صحيح يا أمي؟

الليدي برايتمورت: طبعاً صحيح..ولهذا انفصلنا.

ستيفن: لقد تزوج بدون أن يعلمك هذا.

الليدي برايتمورت: أوه..لا لكي لا أظلمه، إنه لم يفعل ذلــك، كمــا أنــك لا تعرف شعار أندرشافت: لا تخجل من شيء ودع الجميع يعرفه.

ستيفن: ولكنك قلت: إنَّ هذا هو سبب انفصالكما.

الليدي برايتمورت: السبب هو أنه لم يكتف بكونه ابن زنــا، أراد أن تكــون أنت أيضاً ابن زنا، هذا الذي لم أتحمله..

ستيفن [شاعراً بالخجل]: هل تقصدين...

الليدي برايتمورت: لا تتلعثم يا ستيفن، تكلم بوضوح.

ستيفن: ولكن هذا شيء مفزع يا أمي، كيف أتكلم معك بشيء كهذا!

الليدي برايتمورت: إنه ليس بالأمر المريح لي أيضاً، وخصوصاً أنك تــشعر بالخجل وكأنك مازلت طفلاً، الطبقة الوسطى فقط يا ستيفن هي التي تشعر بــأن لا حول لها عندما تكتشف أن هناك أناساً أشراراً في العالم، في طبقتنا يجب أن نقرر ما الذي يجب فعله مع الناس الأشرار دون أن نزعج أنفسنا، اسأل سؤالك الآن بشكل لائق.

ستيفن: أمي..أليس لي اعتبار عندك؟ بحق الله إما أن تعامليني كطفــل كمــا تفعلين دوماً ولا تخبريني بشيء، أو أخبريني بكل شيء ودعيني أتصرف.

الليدي برايتمورت: أعاملك كطفل؟! ماذا تقصد؟ هذا كلام غير لطيف..أنـــت تعلم أنني لم أعامل أحداً منكم كطفل أبداً، لطالما اعتبرتكم أصدقائي وأعطيـــتكم حرية لتفعلوا وتقولوا ما تريدون.

ستيفن [بيأس]: إذاً كنا الأطفال غير المثاليين لـــلأم المثاليـــة، أرجـــوك أن تدعيني وشأني ولو لمرة واحدة وتخبريني حول نية والدي تنحيتي من أجل ابـــن آخر.

الليدي برايتمـــورت [مندهشة]: ابن آخر..! أنا لم أقل شيئاً كهذا، هذا تفسيرك لكلامي.

ستيفن: ولكنك قلت...

الليدي برايتمورت [مقاطعة إياه]: كن ولداً صالحاً يا ستفين وأصغ إلـــيَّ، آل أندرشافت ينحدرون من لقيط كان في أبرشية سانت أندرشافت في المدينة، كان ذلك قبل وقت طويل أيام حكم الملك جيمس الأول، تبنى هـــذا اللقـــيط صـــانع أسلحة، وخلف هذا اللقيط والده بالتبني في عمله، وبـــسبب عرفـــان الجميـــل أو لسبب ما تبنى لقيطاً آخر وترك العمل له هو الآخر، ثم فعل ذلك اللقـــيط نفـــس الشيء، ومنذ ذلك الوقت تركت صناعة المدافع والأسلحة للقيط يـــدعى أنـــدرو أندرشافت.

ستيفن: ولكن ألم يتزوجوا؟ أين أبناؤهم الشرعيون؟

الليدي برايتمورت: أوه..نعم تزوجوا كما فعل والـــدك واشـــتروا أراضـــي لأولادهم، إلا أنهم دائماً كانوا يتبنون طفلاً ويدربونه لكي يخلفهـــم فـــي مجـــال عملهم، وطبعاً كانوا دائماً يتشاجرون مع زوجاتهم بشدة من أجل هذا، تم تبنـــي والدك بهذه الطريقة واعتبر أنه يجب أن يحتفظ بهذه العادة كتقليد متبع ويتبنـــى طفلاً ما لكي يعلمه الصنعة ويخلفه فيها، طبعاً أنا لم أتحمل هذا، ربما كان يوجد سب ما لذلك عندما لم يكن بوسع آل أندرشافت إلا التزوج من نساء من طبقتهم ولكن لا يوجد عذر لذلك الآن.

ستيفن: لا أستطيع إدارة مصنع للأسلحة.

الليدي برايتمورت: سخافة..تستطيع إيجاد مدير وتـــدفع لـــه ثمـــن إدارتـــه للمصنع.

ستيفن: والدي لا يثق بإمكانياتي.

الليدي برايتمورت: ولد..أنت مجرد طفل صغير..أندرو فعل ذلك وحرمـــك من إدارة المصنع لأنه يؤمن بمبدأ معين، لنفس المبدأ الذي يفعل مـــن أجلـــه أي عمل شرير، قال أندور ذات يوم لوالدي: إن التاريخ يخبرنا عن وجود مؤسستين ناجحتين فقط: شركة أندرشافت، والإمبراطورية الرومانية، وهذا هراء..

ستيفن: إذاً لقد انهارت حياتك الأسرية من أجلي يا أمي..أنا آسف.

الليدي برايتمورت: كان هناك اختلافات أخرى بيننا، لم أتحمله لأنه لم يكن رجلاً أخلاقياً، لا أحد منا كامل، أعرف هذا، ولكن والدك كان يقول أشياء غير أخلاقية، وكأن دينه هو ارتكاب الإثم، كنتم ستنشؤون جميعاً بدون مبادئ جيدة بدون أخلاق، بدون معرفة الخطأ والصواب لو ظلَّ معنا في المنزل، فقد كان جذاباً في بعض النواحي والأطفال يحبونه، وكان يستغل هذه الناحية لزرع الأفكار الشريرة في عقولهم.

ستيفن: هذه الأمور تربكني يا أمي، قد يختلف الناس في الرأي وفي الدين ولكن كيف يختلفون فيما هو صح وما هو خطأ؟! الصح هو الصح، والخطأ هو الخطأ..وإذا كان المرء لا يستطيع التمييز بينهما فهو إما مغفل أو وغد.

الليدي برايتمورت[يتأثر]: أنت ولدي حقاً..[تربت على خديه] لن يستطيع والدك الإجابة على هذا السؤال، كان سيضحك أو يحاول التهرب من الإجابة والآن بما أنك قد فهمت الوضع بماذا تنصحني؟

ستيفن: ماذا يمكنك أن تفعلي؟

الليدي برايتمورت: يجب أن أحصل على المال بطريقة ما.

ستيفن: لا نستطيع أخذ المال منه، أفضّل العيش في مكان رخيص مثل ساحة بيدفورد أو هامبستد على أن آخذ منه قرشاً واحداً.

الليدي برايتمورت: ولكن رغم كل شيء يا ستيفن مصروفنا الحالي يأتي منه.

ستيفن[مصدوماً]: لم أكن أعلم هذا.

الليدي برايتمورت: هل كنت تعتقد أن جدك لديه مال ليعطيني إياه؟ لا يستطيع آل ستيفينج إعطاءك كل شيء..لقد منحناك المكانة الاجتماعية، ويجب على أندور المساهمة بشيء.

ستيفن[بمرارة]: إذاً نحن نعتمد عليه وعلى أمواله المشبوهة كلياً.

الليدي برايتمورت: المسألة ليست بأخذ المال منه أم لا، المسألة ببساطة هي كم يعطينا، أنا شخصياً لم أعد أريد مالاً منه.

ستيفن: ولا حتى أنا.

الليدي برايتمورت: ولكن سارة تريد المال وكذلك باربارا، لأن تشارلز لوماكس وأدولفوس كاسوس سيكلفانهما الكثير، ولذلك يجب أن أضع كبريائي في جيبي وأطلب المزيد من المال، أليست هذه هي نصيحتك يا ستيفن؟

ستيفن: لا.

الليدي برايتمورت[بحدة]: ستيفن..

ستيفن: طبعاً إذا كنت مصممة.

الليدي برايتمورت: أنا لست مصممة، أنا أطلب نصيحتك وأنا أنتظرهـــا، لا أستطيع أن أتحمل كل المسؤولية وحدي.

ستيفن[بعناد]: أموت ولا أطلب منه المزيد من المال.

الليدي برايتمـــورت: تعني أن أطلب منه أنا، حسناً يا ستيفن..كما تريد، جدك متفق معي في الرأي ولكن يعتقد أنه من الأفضل أن أطلب من أندرو المجـــيء إلى هنا لرؤية البنتين ثم أطلب منه فهو متعلق بهما بعض الشيء.

ستيفن: تطلبين منه المجيء إلى هنا؟!

الليدي برايتمورت: لا تكرر كلامي يا ستيفن، أين أطلب منه المجيء إذاً؟

ستيفن: لم أتوقع أن تطلبي منه المجيء إلى هنا إطلاقاً.

الليدي برايتمورت: لا تزعجني يا ستيفن، ألا ترى أنه مـــن الـــضروري أن يزورنا؟

ستيفن[رغماً عنه]: أظن هذا..مادامت أختاي بحاجة ماسة إلى المال.

الليدي برايتمورت: شكراً لك يا ستيفن..كنت واثقة أنك ستنصحني النصيحة المناسبة عندما أشرح لك الوضع بطريقة جيدة، لقد طلبت من والدك القدوم إلـــى هنا هذا المساء..[قفز ستيفن من مكانه واقفاً] لا تقفز هكـــذا يـــا ســـتيفن لقـــد أفزعتني.

ستيفن [مذهولاً]: تقصدين أن والدي قادم إلى هنا الليلة، وأنه سيصل في أية لحظة؟

الليدي برايتمورت [ناظراً إلى ساعته] قلت التاسعة [يشهق...تـنهض مـن مكانها] اضغط الجرس من فضلك[يتجه ستيفن إلى طاولة صغيرة ويضغط زراً فيها] الساعة الآن التاسعة إلا عشر دقائق، ويجب أن أعد البنات، دعوت تشارلز لوماكس وأدولفوس على العشاء لكي يراهما أندرو [يدخل الخادم تـتكلم معـه الليدي] موريسون..اذهب إلى غرفة الجلوس وأخبر الجميع ليأتوا إلى هنا.

[ينسحب موريسون، تستدير الليدي برايتمورت نحو ستيفن] تذكر يا سـتيفن أنني أحتاج إليك..[يجلس وتجلس هي] لا أدري كيف ستواجه باربـارا الأمـر منذ أن أصبحت "ميجوراً" في جيش الخلاص باتت ميالة إلى أن تتصرف علـى راحتها وتتأمر على الناس، وهذا تصرف لا يليق بامرأة، عموماً باربـارا لـن تزعجني ولكن والدك سيحضر قبل أن يتسنّى لها أن تحزم أمرها فيما إذا كانت ستقابله أم لا، لا تتوتر يا ستيفن فهذا سيشجع باربارا على خلق المشاكل لنا، أنا متوترة بما فيه الكفاية لكن لا أبدي ذلك.

تدخل سارة وباربارا وبصحبتهما تشارلز لوماكس، وأدولفوس كاسوس، سارة نحيلة الجسم ومملة، باربارا نشيطة وأكثر حيوية، سارة ترتدي ملابس تواكـب الموضة، وباربارا ترتدي زي جيش الخلاص، لوماكس شـاب يحـب المـزاح

كاسوس شاب يضع نظارات طبية، نحيل الجسم، عذب الصوت، متسامح لطيف تدخل سارة وتجلس على الأريكة، تدخل باربارا بعدها وتقف عند الباب.

باربارا: هل سيدخل كولي ودولي؟

الليدي برايتمورت: باربارا..لا تطلقي اسم كولي على تشارلز هذا اسم وضيع يجعلني أشعر بالغثيان.

باربارا: حسناً يا أمي..كولي على حق هل يدخلان؟

الليدي برايتمورت: نعم..إذا أحسنا التصرف.

باربارا [عبر الباب]: ادخلا، دولي أحسن التصرف..

تقترب باربارا من طاولة الكتابة ويدخل كاسوس مبتسماً ويتقدم نحو الليدي برايتمورت.

سارة [منادية] ادخل يا كولي [يدخل لوماكس بجدية ويجلس بين سارة وباربارا]

الليدي برايتمورت: اجلسوا جميعاً..[يجلس الجميع] لا أدري لماذا تضحك يا أدولفوس..أنا مندهشة.

كاسوس[بصوت لطيف] كانت باربارا تحاول تعليمي مشية جيش الخلاص في ويست هام.

الليدي برايتمورت: لا داعي للضحك إذن، فهذا لا يُضحك.

كاسوس: أنت لم تكوني حاضرة، الأمر مضحك للغاية.

الليدي برايتمورت: أصغوا إليَّ جميعاً، والدكم سيأتي إلى هنا هذا المساء..

[اندهاش عام] نهض لوماكس وسارة وباربارا..

لوماكس: أوه..

الليدي برايتمورت: لم أستدعِك لتقول شيئاً يا تشارلز.

سارة: أنت تتكلَّمين بجدٍّ يا أمي؟

الليدي برايتمورت: طبعاً [تجلس سارة بانهيار، بدا تشارلز منزعجاً] هل تعارضين ذلك يا باربارا؟

باربارا: أنا؟ ولمَ أعارض...يجب أن نسعى لخلاص روح والدي كأي شخص آخر، أنا أرحّب به هنا..[تجلس إلى الطاولة]

لوماكس: ولكن حقيقة ألا تعلمين..أوه..

الليدي برايتمورت: ماذا تريد قوله يا تشارلز؟

لوماكس: هذا شيء لا يطاق.

الليدي برايتمورت [مستديرة نحو كاسوس] أنت أستاذ لغة يونانيَّة، ترجم ما يقوله تشارلز لوماكس إلى الإنكليزية.

كاسوس: أظن أن تشارلز أوضح ما نشعر به جميعاً، وقد استعمل هومر في معرض حديثه عن أوتوليكوس نفس العبارة.

لوماكس[متردداً] أنا لا أمانع في ذلك إذا كانت سارة لا تمانع.

الليدي برايتمــورت: شكراً، هل يجب أن أطلب موافقتك يا أدولفوس لــدعوة زوجي إلى منزلي؟

كاسوس: لا..وأنا أؤيدك بلا تردد في أي شيء تفعلينه.

الليدي برايتمورت: جيد، وأنت يا سارة هل لديك ما تقولينه؟

سارة: هل تقصدين أنه قادم ليعيش معنا هنا؟

الليدي برايتمورت: لا طبعاً، الغرفة الزائدة جاهزة إذا أراد قــضاء يــوم أو يومين معكم، لكن هناك حدود.

سارة: لا يستطيع أكلنا على ما أعتقد.

لوماكس [يضحك]: أتساءل كيف يفعل ذلك.

الليدي برايتمورت: والدكم غريب تماماً بالنسبة لكم.

لوماكس: أظن أنه لم يرَ سارة منذ أن كانت طفلة.

الليدي برايتمورت: نعم.

كاسوس: إذاً أنت تقترحين بما أنه لم يرَ أولاده منذ أن كانوا صغاراً فسيحكم عليهم اليوم من خلال تصرفاتهم، ولهذا تريدين منا جميعاً أن نحسن التصرف معه وخصوصاً تشارلز.

الليدي برايتمورت: تماماً.

لوماكس: دولي..الليدي لم تقل هذا.

الليدي برايتمورت: بل قلته يا تشارلز، من المهم جداً أن تحسن التصرف الليلة، وأرجو منك أن لا تجلس في زاوية وتضحك أو تهمس في أذن من هو إلى جانبك أثناء تكلمي مع والدك.

باربارا: حسناً يا أمي..سنفعل ما تريدين.

الليدي برايتمورت: وتذكر يا تشارلز أن سارة تريد أن تشعر بالفخر بك لا أن تخجل منك.

لوماكس: أوه..فهمت، لا يوجد شيء نفخر به.

الليدي برايتمورت: إذاً حاول وتصرف كأنه يوجد ما تفخر به.

دخل موريسون شاحب الوجه مضطرباً.

موريسون: هل لي أن أتكلم معك على انفراد يا سيدتي؟

الليدي برايتمورت: أعلم ما تريد قوله، أدخله حالاً.

موريسون: نعم سيدتي [ينصرف]

لوماكس: ألا يعرفه موريسون؟

الليدي برايتمورت: طبعاً يعرفه، فموريسون معنا منذ وقت طويل.

لوماكس: إذاً فقد اضطرب موريسون لأنه ينظر إليه على أنه شخص فائق القدرة.

الليدي برايتمورت: هل يوجد داعٍ لإثارة أعصابي بهذه الطريقة الآن يا تشارلز؟

موريسون[بالباب]: السيد أندرشافت [ثم انسحب مسرعاً]

يدخل أندرو أندرشافت، يقف الجميع، تستقبله الليدي برايتمورت في منتصف الغرفة.

أندرو ممتلئ الجسم، في الخمسينيات، لطيف وصبور وطلق المحيا، لطافته جزء من شخصيته القوية ويعرف كيف يتعامل مع الناس.

الليدي برايتمورت: عمت مساءً يا أندرو.

أندرشافت: كيف حالك يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: تبدو أكبر مما كنت عليه.

أندرشافت: نعم..لقد كبرت بعض الشيء [يمسك يدها بلباقة] أما أنت فلازلت كما أعرفك.

الليدي برايتمورت [ساحبة يدها] لا..هذا عائلتك.

أندرشافت [مستغرباً] إنها كبيرة بعض الشيء [يمد يده مصافحاً لوماكس]

لوماكس [مصافحاً إياه] أهلاً..

أندرشافت: أنت أكبر أولادي بلاشك، أنا سعيد للقائك مجدداً يا بني.

لوماكس: لا..لست ابنك.

الليدي برايتمورت: أندرو..أنسيت كم ولداً لديك؟!

أندرشافت: في الواقع..لقد كبروا جداً منذ....هل ارتكبت خطأ ما؟ أتذكر أنه كان لدي ولد واحد، ولكن أشياء كثيرة حدثت منذ....

الليدي برايتمورت: أندرو..هذا غباء..لديك ولد واحد فعلاً.

أندرشافت: هلا عرفتني عليهم يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: هذا تشارلز لوماكس الذي خطب سارة.

أندرشافت: سيدي..أستميحك عذراً.

الليدي برايتمورت: وهذا ستيفن.

أندرشافت [حانياً رأسه] سعيد بالتعرف عليك يا سيد ستيفن..ثم [متجهاً نحو كاسوس] لابد أنك ابني..[ممسكاً بيده] كيف حالك يا بني..[إلى الليدي برايتمورت] إنه يشبهك كثيراً يا حبيبتي.

كاسوس: هذا إطراء لي يا سيد أندرشافت، أنا كاسوس خطيب باربارا، وهذه الميجور باربارا أندرشافت من جيش الخلاص، وهذه سارة ابنتك الثانية، وهذا ستيفن أندرشافت ابنك.

أندرشافت: ابني العزيز ستيفن..أستميحك عذراً لكوني لم أعرفك.

ستيفن: لا عليك.

أندرشافت: وشكراً لك يا سيد كاسوس على هذا التوضيح..[نحو سارة] باربارا يا حبيبتي.

سارة: أنا سارة.

أندرشافت: آه..نعم..سارة [صافحها واتجه نحو باربارا] باربارا صحيح؟

باربارا: نعم [يتصافحان]

الليدي برايتمورت: حسناً..فلنجلس جميعاً، تفضل بالجلوس يا أندرو..[يجلس الجميع]

أندرشافت: شكراً لك يا حبيبتي.

لوماكس [فاتحاً حواراً معه] لقد استغرق منك معرفتنا بعض الوقت.

أندرشافت: نعم، ولكنني لا أشعر بالإحراج لذلك يا سيد لوماكس، المشكلة أنني إذا لعبت دور الأب فسأبدو كغريب يتدخل فيما لا يعنيه، وإذا لعبت دور الغريب فسأبدو كوالد وغد.

الليدي برايتمورت: لا داعي لكل هذا يا أندرو، كن صادقاً وعلى طبيعتك.

أندرشافت: نعم يا حبيبتي فهذا أفضل شيء..آه والآن ماذا تريدون مني؟

الليدي برايتمورت: لا نريد شيئاً منك يا أندرو، أنت فرد من العائلة، اجلس معنا واستمتع بهذا الجو الأسري.

نظرت باربارا إلى لوماكس وكشرت، فضحك بصوت خافت مثيراً لانتباه الجميع.

الليدي برايتمورت [غاضبة] تشارلز لوماكس، إذا لا تستطيع التصرف بشكل مؤدب غادر الغرفة.

لوماكس: أنا آسف جداً [يغير مكانه جالساً بين الليدي برايتمورت وأندرشافت]

باربارا: اضحك عندما تريد يا كولي، فالضحك مفيد للصحة.

الليدي برايتمورت: باربارا، لقد حصلت على تربية راقية، أرجو أن تثبتي ذلك لأبيك ولا تتكلمي بهذه الطريقة السوقية.

أندرشافت: لا عليكم مني، لا داعي للتصنع أمامي فأنا لست مثقفاً.

لوماكس: لا يظهر ذلك عليك، تبدو لي على خير ما يرام.

كاسوس: أنصحك بدراسة الأدب اليوناني يا سيد أندرشافت، فالذين يدرسونه يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع رغم أن قلائل منهم يعرفون اللغة اليونانية أما اللغات الأخرى فهي مؤهلات نادلي المطاعم والتجار، اللغة اليونانية بالنسبة للرجل ذي المكانة بمثابة الدمغة على حلي الفضة.

باربارا: لا تبالغ يا دولي، وأنت يا كولي اجلب آلتك الموسيقية واعزف شيئاً لنا.

لوماكس [يقفز من مكانه بحيوية] هل تحب الموسيقى؟

أندرشافت: جداً..أنا أعشق الموسيقى.

لوماكس [بسرور] صحيح؟ إذاً سأحضر آلتي [يخرج من الغرفة]

أندرشافت: هل تعزفين يا بارابار؟

باربارا: على الدف فقط، ولكن كولي يعلمني العزف على الكونسرتينا.[1]

أندرشافت: وهل كولي أيضاً عضو في جيش الخلاص؟

باربارا: لا..يقول: إنه من العار أن ننشق عن الكنيسة الانكليكانية، ولكنني لم أيأس من كولي بعد، جعلته يحضر أحد اجتماعاتنا أمس.

أندرشافت [ينظر باستغراب إلى زوجته]

الليدي برايتمورت: لا علاقة لي بهذا يا أندرو، باربارا كبيرة كفاية لتعــرف مصلحتها، كما أنه لا يوجد والد ينصحها.

باربارا: بلى لديها والد، لا وجود للأيتام في جيش الخلاص.

أندرشافت [مستهزئاً] وهل والدك هناك لديه أولاد كثيرون وخبرات واسعة؟

باربارا [ناظرة إليه باهتمام] تماماً، كيف عرفت هذا؟

[يُسمع صوت لوماكس عند الباب وهو يعزف على الكونسرتينا]

الليدي برايتمورت: تعال يا تشارلز اعزف لنا شيئاً.

لوماكس: على الرحب والسعة [يبدأ بالعزف]

****

١- نوع من أنواع آلة الأكورديون الموسيقية....المترجم.

أندرشافت: انتظر لحظة يا سيد لوماكس، أنا مهتم جـداً بجـيش الخـلاص فشعاره هو نفس شعاري في الحياة: الدم والنار.

لوماكس[مصدوماً] ولكن ليس المقصود به الدم والنار الذي تعرفه.

أندرشافت: أقصد تطهير الدم والنار.

باربارا: وكذلك نحن، تعال غداً إلى مقري في ويست هام وانظر ماذا نفعـل سنسير في مظاهرة إلى الاجتماع الكبير في قاعة الاجتماعات في ميل إيند، تعال وألق نظرة على مقرنا ثم سر معنا، فهذا سيفيدك كثيراً..هل تعرف العزف على أية آلة.

أندرشافت: كنت أكسب المال في صغري من الرقص في الطرقات، وفيمـا بعد أصبحت عضواً في جمعية الأوركسترا وأعزف على المترددة.[1]

لوماكس [شاعراً بالخزي وواضعاً آلته جانباً] أوه..فهمت.

باربارا: كثير من الخاطئين يعزفون على المترددة، شكراً لجيش الخلاص.

لوماكس[إلى باربارا] نعم..ولكن ماذا عن مصانع الأسلحة [إلى أندرشافت] هل الخلاص هو جزء من اعتقاداتك؟

****

١ – آلة موسيقية تشبه البوق.

الليدي برايتمورت: تشارلز..!

لوماكس: ولكن لها أسبابها، أليس كذلك؟ أعني أن الأسلحة ضرورية في بعض الحالات، لا نستطيع العيش بدون أسلحة ندافع عن أنفسنا عند الضرورة ومن جهة أخرى هناك بعض الأقاويل عن جيش الخلاص، أنا أنتمي إلى الكنيسة الرسمية، وأرى أن ما يفعلونه هو ضد الدين، وخصوصاً الشعار الذي يطلقونه.

أندرشافت: من الواضح أنك لا تحب ذلك الشعار يا سيد لوماكس.

لوماكس: نعم.

أندرشافت: أنا من جهتي أرى أنه كلما كانت الحرب أكثر دماراً كلما كانت أكثر روعة...! أنا لست خجلاً من عملي كتاجر أسلحة، والمال الذي أجنيه من هذه التجارة أنفقه على المستشفيات والكاتدرائيات وأشياء محترمة أخرى، كما أنفقه على التجارب والأبحاث المتعلقة بإنتاج أسلحة أكثر تدميراً للأرواح والممتلكات، لذلك أفكاركم في إدارة الخد الثاني للذي صفعكم لا تجدي نفعاً معي.

باربارا: هلا ساعدتني لجلب الخلاص لك؟

أندرشافت: سأعقد صفقة معك، إذا ذهبت لزيارتك غداً في مقرك هل تأتين في اليوم التالي لزيارة مصانع الأسلحة خاصتي؟

باربارا: حذار..قد ينتهي بك المطاف إلى هجر صناعة الأسلحة من أجل خاطر جيش الخلاص.

أندرشافت: أخشى أن لا يحدث العكس.

باربارا: سأجرب.

أندرشافت: وأنا سأجرب أيضاً [تصافحا] أين يقع مقرك؟

باربارا: في ويست هام، عند علامة الصليب، اسأل أي شخص وسيدلك، أين تقع مصانعك؟

أندرشافت: في بيريفال سانت أندرو، عند علامة السيف، اسألي أي شخص في أوربا.

لوماكس: ألا أعزف الآن؟

باربارا: نعم..اعزف "سيروا إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون"

لوماكس: إنها معزوفة جادة، سأعزف "أنت تمر من هنا يا أخي" فهي ألطف منها.

باربارا: ولكنها حزينة جداً.

الليدي برايتمورت: كفاكم من هذا الحديث.

أندرشافت: ما به هذا الحديث يا حبيبتي؟

الليدي برايتمورت: حسناً كما تريــدون..إذا كنــتم تفــضلون المقطوعــات الموسيقية الجادة، تشارلز اعزف "من أجل الصلاة" [ذهل الجميع]

لوماكس: أوه..

أندرشافت [ناهضاً] يجب أن أذهب الآن.

الليدي برايتمورت: لا تستطيع الذهاب الآن يا أندرو هذا غير لائق، اجلــس ماذا سيقول الخدم لو ذهبت الآن!

أندرشافت: إذاً اسمعوا اقتراحي، ستتجز باربارا صلوات خفيفة فــي غرفــة الاستقبال مع لوماكس الذي سيعزف لها وسأحضرها أنا عن طيب خاطر، حتى إنني سأشارك فيها بالعزف على المترددة.

الليدي برايتمورت: لا تسخر من هذا يا أندرو.

أندرشافت [مصدوماً لباربارا] أرجو أن لا تظني أنني أسخر منك يا حبيبتي.

باربارا: لا طبعاً..ولا يهمني حتى لو استهزأت بي، فنصف أعضاء جماعتنا كانوا كذلك [نهضت من مكانها] تعالوا...[ثم وضعت يدها حول عنــق والــدها ونادت على الآخرين] تعال يا دولي، تعال يا كولي..نهض كاسوس.

الليدي برايتمورت: كيف يعصيني الجميع؟! اجلس يا أدولفوس [ظلّ واقفـــاً] تشارلز اذهب أنت...أنت لا تصلح لسماع الصلوات فقد يغالبك الضحك.

لوماكس: أوه..[يخرج لوماكس]

الليدي برايتمورت [مكملة كلامها] أنت تستطيع التصرف بـــشكل لائـــق يـــا أدولفوس إذا أردت ذلك..ابق هنا.

كاسوس: عزيزتي الليدي برايتمورت توجد أشياء في كتاب صلوات العائلـــة لا أطيق سماعها منك.

الليدي برايتمورت: مثل ماذا؟

كاسوس: ستقولين أمام الخدم إنّنا فعلنا أشياء كان يجدر بنا عدم فعلها، ولـــم نفعل أشياء كان يجب فعلها، ولا أستطيع تحمـــل هـــذا، ســـأذهب إلـــى غرفـــة الاستقبال.

الليدي برايتمورت [بانزعاج] حسناً..اذهب..[يتحرك نحو الباب] وتذكر يـــا أدولفوس [يستدير نحوها] لديّ إحساس قوي أنك التحقت بجيش الخلاص مـــن أجل باربارا فقط.

كاسوس[يضحك ويخرج]

الليدي برايتمورت: سارة..إذا أردت الذهاب فاذهبي..هذا أفضل من الجلوس هنا شاردة الذهن.

سارة [ضاحكة] حسناً يا أمي..[تخرج]

تجهش الليدي برايتمورت بالبكاء..

ستيفن [يتقدم نحوها] أمي...لمَ البكاء؟ ما الأمر؟

الليدي برايتمورت [مكفكفة دموعاً بمنديلها] لا شيء..اذهب معهم إذا أردت واتركني مع الخدم.

ستيفن: أوه..لا تقولي هذا يا أمي..أنا...أنا لا أحبه.

الليدي برايتمورت: يحبه الآخرون..وهذا منتهى الظلم، تربـــي الأم أطفالهـــا وترعاهم ثم يأتي الأب الذي لم يفعل شيئاً سوى تدليلهم ويسرق حبهم لي.

ستيفن: لم يسرق حبنا لك..إنه الفضول فقط.

الليدي برايتمورت [بعنف] لا أريد مواساة من أحد يا ستيفن [تنهض وتتوجه نحو الباب]

ستيفن: إلى أين أنت ذاهبة يا أمي؟

الليدي برايتمورت: إلى غرفة الاستقبال طبعاً [تخرج] هل أنـــت قـــادم يـــا ستيفن؟

ستيفن: لا..طبعاً لا..[تخرج ويظل ستيفن والانزعاج بادٍ عليه].

****

الفصل الثاني

جيش الخلاص

فناء مقر جيش الخلاص في ويست هام، المقر عبارة عن مبنى قديم به بـــاب في الطابق الأرضي ودون شرفات في الطوابق العليا، يجلس فـــي الفنـــاء إلـــى جانب الباب رجل وامرأة وبجانبهما طاولة بها بعض الأوراق يـــأكلان وجبـــة مؤلفة من كسرة ثخينة من الخبز وكوب من الحليب.

الرجل هو شاب عاطل عن العمل قادر على فعل أي عمل بعيد عن النزاهـــة المرأة بالية الثياب تبدو عليها التعاسة، تبدو كأنها في الستين من العمر رغم أنها لم تتجاوز الخامسة والأربعين، أخذ الرجل جرعة من كوبـــه ثـــم وقـــف وراح يتمشى جيئة وذهاباً وقد وضع يديه في جيبه.

المرأة: هل تشعر بتحسن الآن بعد أن تناولت الوجبة يا سيدي؟

الرجل: لا..أتدعين هذا الطعام وجبة..؟! إنها جيدة بالنسبة لـــك فقـــط ربمـــا ولكنها ليست كذلك بالنسبة لي، أنا العامل الذكي.

المرأة: عامل؟ ما هي مهنتك؟

الرجل: دهان.

المرأة [دون أن تصدقه] نعم.

الرجل: قد تقولين لنفسك: إن كل عاطل عن العمل يدعي أنه دهان، ولكنني دهان حقيقي، كنت أتقاضى ثمانية وثلاثين جنيهاً أسبوعياً عندما كنت أعمل.

المرأة: ولماذا لا تذهب وتتقاضى مثل ذلك المبلغ الآن؟

الرجل: سأخبرك لماذا، أولاً: لأنني ذكي..أوف..البرد قارس هنا [يجري في مكانه بغية تدفئة نفسه] وهذا ما لا يحبه الرأسماليون، ثانياً: الرجل الذكي يجب أن يثمل عندما يعمل، ولهذا أشرب كثيراً أثناء العمل عندما تسنح لي الفرصة ثالثاً: أنا أترفع عن سائر العمال وأدعهم يعملون أكثر مني، ورابعاً: أنا ذكي كفاية لكي أفعل ما يفعل الرأسماليون عندما تسنح لي الفرصة فأسرق كل ما أستطيع سرقته، وعندما أكون مع الشرفاء أكون عاقلاً ومتزناً وشريفاً، أي إنني أفعل كما يفعل الرومان عندما أكون في روما، مثلما يقول المثل، وما هي النتيجة، عندما ساءت أحوال التجارة طردت من عملي.

المرأة: ما اسمك؟

الرجل: برايس، برونز أوبرين برايس، أدعى برايس النفاج اختصاراً.

المرأة: مثل سنوبي النجار..؟ ولكنك دهان.

برايس: لا..ليس ذلك النوع من التكبر، بل النوع الراقي، أنا ذكي جداً لكون والدي كان يحسن القراءة ويمتلك متجراً لبيع أدوات الكتابة، ويُحسن للفقراء ولست مثلكم [يعود ويجلس في مكانه ويمسك بكأس الحليب] ما اسمك؟

المرأة: رومي ميتشنس.

برايس[معطياً إياها ما تبقى من كوب الحليب خاصته] هاك يا آنسة ميتشنس.

رومي[مصححة] السيدة ميتشنس.

برايس: أوه..رومي..امرأة متزوجة محترمة، هرعت إلى طلب مساعدة جيش الخلاص بادعائك أنك امرأة سيئة السمعة، نفس الحيلة القديمة.

رومي: وماذا أفعل إذاً؟ كنت أتضور جوعاً، فتيات جيش الخلاص رائعات حقاً ويروق لهن أن يعتقدن أنك كنت في حالة يرثى لها قبل أن ينقذنك.

برايس: ليتني أعمل معهنَّ، رومي..ما معنى رومي؟ هل هو اسم حيوان مدلل؟

رومي: إنه اختصار رومولا.

برايس: ومن هي رومولا؟

رومي: رومولا..إنها إحدى بطلات الكتب، تمنت أمي أن أكون مثلها.

برايس: لقد جمعنا الحظ العاثر يا رومي، كلانا لا يستطيع أحد لفظ أسمائنا.

رومي: من أنقذك يا سيد برايس؟ الميجور باربارا؟

برايس: لا..جئت إلى هنا بمحض إرادتي، سينقذني نصير الدهانين، سأخبره أنني سيئ ومقامر وأضرب أمي العجوز فهذا يروق لهم.

رومي [مصدومة] هل كنت تضرب أمك؟!

برايس: لا..هي التي كانت تضربني، تعالي واسمعي كلامي معهم، سأخبرهم كيف كنت سيئاً وسكيراً أنهال على أمي ضرباً عندما أعود سكران إلى المنزل.

رومي: كلامك كله أكاذيب مثل كلامي.

برايس: صحيح، وهل تعتقدين أن جيش الخلاص سيسعى إلى خلاصي لو تكلمت الحقيقة؟ لا..سألعب معهم اللعبة التي يفضلونها، وأجعلهم يعتقدون أنهم أنقذوني.

رومي: لن يدعوك تثمل مجدداً.

برايس: لا داعي لذلك مادمت أتسلى بطريقة غير هذه.

تدخل جيني هيل وهي فتاة جميلة في الثامنة عشرة من جيش الخلاص من بوابة المقر ومعها بيتر شيرلي وهو رجل مسن أنهكه الجوع يرتدي أسمالاً بالية.

جيني: ادخل..تمالك نفسك..سأعطيك شيئاً تأكله، ستصبح على ما يرام.

برايس [ينهض ويسرع لمساعدة بيتر] مسكين هذا الرجل، هوّن عليك يا أخي ستجد الراحة والسلام والسعادة هنا، أسرعي بإعداد الطعام يا آنسة [تدخل جيني مسرعة إلى المقر] ابتهج يا عم ستحضر لك هذه الفتاة كسرة من الخبز وكوباً من الحليب [يجلسه إلى زاوية الطاولة]

رومي [مبتهجة] ابتهج يا والدي ولا تمت.

شيرلي: أنا لست عجوزاً، عمري ٤٦ عاماً فقط، أنا بصحة جيدة، شعري شاب قبل أن أبلغ الثلاثين، كل الذي أريده هو ثلاثة بنسات لأصبغ شعري، يا إلهي..! لقد عملت عشر ساعات يومياً منذ أن كنت في الثالثة عشرة وأصبحت في الشارع ليحل محلي شاب لا يتقن العمل أكثر مني، وكل ذلك لأنني أصبحت أشيب الشعر.

برايس: لا فائدة من النواح والعويل الآن، سيعطونك وجبة الآن لتقتات بها [تدخل جيني وبيدها الوجبة المعتادة] تفضل يا أخي.

شيرلي [ناظراً إليها بنهم دون أن يلمسها، ثم يجهش بالبكاء كالأطفال] أنا لم آخذ أي شيء من أحد من قبل.

جيني[مواسية إياه] هيا..كفاك بكاء، الرب أرسله إليك، كما أنه يمكنك سداد ثمن الطعام إذا أردت عندما تجد عملاً.

شيرلي: نعم..هذا صحيح، سأدفع لكم ثمن ما أكلت [ثم استدار نحو الوجبة وأكلها بنهم]

جيني: كيف حالك يا رومي، ألم تصبحي أفضل؟

رومي: فليباركك الرب، كم أنت رائعة..لقد أطعمت جسدي وأنقذت روحي [جيني تقبّلها بتأثر] اجلسي وارتاحي قليلاً.

جيني: لقد أنهكت نفسي منذ الصباح، هناك الكثير من العمل..لا وقت للراحة.

رومي: صلي لدقيقتين وستصبحين أفضل حالاً.

جيني: أوه..أليس رائعاً كيف تحييك صلاة دقيقتين من جديد..أصبت بدوار الساعة الثانية عشرة، كنت متعبة جداً، ولكن الميجور باربارا أرسلتني لأصلي لمدة خمس دقائق وعدت بعدها لأعمل بنشاط كأنني بدأت لتوي [إلى برايس] هل تناولت كسرة من الخبز؟

يدخل بيل ولكر في هذه الأثناء، عمره ٢٥ عاماً، ينظر إلى جيني..

برايس: نعم.

جيني: وهذا ما يسعدني، أشعر بالذنب عندما أتوانى هنا، يجب أن أعود للعمل.

تُسرع نحو داخل المقر فيوقفها القادم الجديد، تخاف من طريقة إيقافه إياها فتتراجع بضع خطوات إلى الوراء..

بيل: أنا أعرفك..أنت التي أخذت ابنتي وجعلتها تتمرّد عليَّ...أريدها الآن أين هي؟ سألقنها درساً، أخبريها أن بيل ولكر يريدها، ومن الأفضل أن لا تدعيني أنتظر طويلاً، هيا أرشديني إليها [يمسكها من ذراعها ويجرها نحو مدخل المقر..تقع على ركبتيها، تسرع رومي وتساعدها على الوقوف]

برايس[ينهض ويتقدم بتصميم نحو بيل] هوّن عليك يا رجل، اهدأ قليلاً، لم تؤذك بشيء.

بيل: من أنت لتخاطبني بهذه الطريقة؟! [يقف مهدداً إياه] هل سترسلها لي أم أضع نهاية لحياتك.

رومي [مسرعة نحوه لتوبيخه] أوه..أيها الوحش..[يرفع يده ويهوي على وجهها، تصرخ وتتراجع إلى الخلف مخفية وجهها بيديها وتئن من الألم]

جيني [تذهب نحوها] أوه..سامحك الرب، كيف تضرب امرأة عجوزاً بهذه الطريقة؟!

بيل [ممسكاً إياها من شعرها بعنف يجعلها تصرخ ومبعداً إياها عن المرأة العجوز] ابدئي بالصلاة لمدة أسبوع ليسامحك الرب [مستديراً بوحشية نحو برايس] وأنت..ألديك ما تقوله لي؟

برايس [بجبن] لا أيها الأخ لا علاقة لي بهذا.

بيل: تصرف جيد..[إلى جيني] والآن أحضري لي موغ وإلا ضربتك.

جيني: أوه..فليحضرها أحدهما من الداخل [يدخل برايس وورومي بسرعة إلى الداخل بينما يمسكها بيل من شعرها]

بيل: هل ستخبرين الميجور باربارا عني؟

جيني: أوه..أرجوك لا تجرني من شعري..اتركني.

بيل: هل ستخبرينها؟ [تصرخ صرخة خافتة] نعم أم لا؟

جيني: فليعطني الرب القوة..

بيل[لاكماً إياها على وجهها] اذهبي وأريها هذا وأخبريها إذا أرادت لكمة هي الأخرى فلتخرج إليَّ..[جيني تبكي من الألم، تدخل المقر، يخاطب الرجل الآخر] وأنت كل وجبتك وابتعد عن طريقي.

شيرلي[ينتفض واقفاً ويواجهه بغضب والكوب بيده] حاول الاقتـراب منـي وسأحطم وجهك بهذا الكوب، وأفقأ عينك..ألم تكتفِ أيها الحقير الصغير؟! ألـم يكفك أنك أحذت لقمة الخبز من أفواه من تعيلهم فجئت مزمجراً ومزعجـاً مـن أحسنوا إليك.

بيل: كفاك نباحاً أيها العجوز عديم الفائدة.

شيرلي: أنا أفضل منك، كنت أعمل بجد أكثر منك قبل أن يطردونـي مـن عملي لأنني بلغت الخامسة والأربعين، ولكنني واثق أنني سأجد عملاً ما يناسب سني بسرعة، اذهب واعمل بدل تضييع وقتك وجهدك سدى، وضـرب النـساء المحترمات..ماذا تعرف عن الحياة؟

بيل: لا تثرني كيلا أضربك أنت الآخر.

شيرلي [بازدراء] تحب ضرب كبار السن أليس كذلك؟ لم أرك تضرب شـاباً بعد أن ضربت النساء أيها الجبان.

بيل[متحفزاً] أيها الكاذب العجوز..ألم ترني وأنا أهدد ذلك الشاب؟

شيرلي: ولكنه كان يتضور جوعاً، جاء يستجدي كسرة خبز، هـل تـستطيع ضرب زوج ابنة أخي؟

بيل: من هو؟

شيرلي: إنه تودجر فيرمل من بولز بوند، لقد ربح ٢٠ جنيهاً من جراء ضربهِ للمصارع الياباني في قاعة الموسيقى، لقد جابهه لمدة ١٧ دقيقة و ٤ ثوان.

بيل: لا أجيد المصارعة، هل يجيد الملاكمة؟

شيرلي: نعم..وأنت لا تجيدها.

بيل [مهدداً] ماذا؟ أنا لا أجيدها؟ أنا لا أجيد الملاكمة؟ ماذا تقول؟

شيرلي[دون خوف] هل تقبل أن تلاكم تودجر فيرميل إذاً؟

بيل[بافتخار] سأقف في وجه أي رجل حتى ولو كان مثل تودجر هذا بعشر مرات، ولكن لا تقل لي: إنني لست محترف ملاكمة.

شيرلي[ناظراً إليه باحتقار] أنت تلاكم؟! لم تفعل شيئاً سوى أن لكمت امرأة عجوزاً، حتى ضربك إياها لم يكن به أي مقدار من الحرفية أيها الجاهل الساذج ضربت المرأة فراحت تصيح، لو ضربها تودجر فيرميل لأغمي عليها لمدة عشر دقائق كاملة، وكذلك الأمر لو ضربك أنت، حتى أنا سأهاجمك لو لم أكن أتضور جوعاً منذ أكثر من شهر[ثم أدار ظهره إليه وجلس إلى الطاولة]

بيل[يلحق به ويقف إلى جانبه] إذاً جئت تشحذ الخبز من هنا.

شيرلي [يجهش بالبكاء] أوه يا رب..جئت أشحذ مثل سائر المحتاجين [يغضب] ولكنك ستصبح مثلي قريباً جداً بأسرع ما تتصور، أيها السكير الثمل.

بيل: أنا لست سكيراً، ولست ثملاً [يندفع نحو باب المقر] سأدخل وأحضر ابنتي.

شيرلي: سيخرجون الشراب من رأسك عندما تدخل إلى المقر، انتبه لما تفعل، الميجور هنا هي حفيدة إيرل ستيفينج.

بيل: لا..

شيرلي: سترى.

بيل: أنا لم أفعل شيئاً لها.

شيرلي: وإذا قالت إنك فعلت من سيصدقك؟

بيل: جبناء..لا يوجد عدالة في هذا البلد، يستطيع أولئك الناس فعل ما يريدون.

شيرلي: ادخل وقل لها ذلك، هذا ما يفعله الأغبياء أمثالك..

تخرج باربارا بنشاط من المقر، تبدو منشغلة وبيدها دفتر، تقدم نفسها لشيرلي وبيل الذي يجلس بجبن ويدير ظهره لهما.

باربارا: صباح الخير.

شيرلي [يقف ويخلع قبعته] صباح الخير يا آنسة.

باربارا: اجلس، تصرف وكأنك في منزلك [يتردد تربت على كتفه وتجعله يجلس] والآن بعد أن أصبحنا أصدقاء أريد أن أعرف كل شيء عنك..اسمك وعنوانك وصنعتك.

شيرلي: اسمي بيتر شيرلي، طردت من عملي قبل شهرين لأنني أصبحت عجوزاً.

باربارا[بدون استغراب] أرى أنك مازلت تصلح للعمل، لم لا تصبغ شعرك؟

شيرلي: فعلت ولكن لم أفلح في إخفاء عمري.

باربارا: هل ترتجف يداك؟

شيرلي: أبداً..أنا ممتنع عن تناول المسكرات نهائياً، ولم يسبق لي أن طردت من عملي، وأعمل بجد، كما أنني عامل ماهر.

باربارا: إذاً لا عليك، سيتولاك الرب برعايته.

شيرلي: وما دخل الدين بهذا؟!

باربارا: هل أنت لا ديني؟

شيرلي: وهل ذكرت لك أنني لا ديني؟

باربارا: لا تخجل حتى لو كنت "لا دينيّاً"، والدي هو الآخر لا ديني، لذلك لا عليك يا بيتر سنجد لك عملاً [يرتبك شيرلي ويلمس قبعته بيده، تستدير نحو بيل] ما اسمك؟

بيل: وما دخلك باسمي؟

باربارا [تدون في دفترها] يخشى من إعطاء اسمه..هل تعمل..؟

بيل: يخشى من إعطاء اسمه [يقهقه] هل تريدين إدانتي بشيء؟ [تنظر إليه بهدوء] إذاً سجلي اسمي بيل ولكر.

باربارا: بيل ولكر..؟ أذكر أنني سمعت هذا الاسم من قبل..أوه أنت الرجل الذي كانت جيني هيل تدعي عليه قبل قليل [تكتب اسمه في دفترها]

بيل: جيني هيل؟ ولماذا تدعي عليَّ؟

باربارا: لا أدري..هل أنت الذي جرحت شفتها؟

بيل: نعم أنا..وأنا لست خائفاً منك.

باربارا: ولمَ تخاف مني بما أنك لا تخاف من الرب، أنت رجل شجاع يا سيد ولكر ولكن لا أحد منا يجرؤ على رفع يده على امرأة خوفاً من الرب في السماء.

بيـــل: أنا لا أريد خبزكم، ربما كنت تعتقدين أنني جئت أشحذ منــك كـسائر البؤساء هنا..أنت مخطئة.

باربارا: أوه..عفواً لأنني دونت اسمك في دفتري يا سيد ولكر، سأمسحه.

بيل[يأخذ الأمر على محمل الإساءة له] دعي اسمي وشأنه، لــمَ تريــدين أن تمسحيه؟

باربارا: لأنه لا داعي لتدوينه في دفتري ما لم يكن هناك فائدة من ذلك، ماذا تعمل؟

بيل [متذاكياً] هذا ليس شأنك.

باربارا: صحيح..[تدون في دفترها] سأدون أمام اسمك الرجل الذي ضــرب جيني هيل على فمها.

بيل [ينهض مهدداً] اسمعي أنت، لقد سئمت هذا.

باربارا[بهدوء ودون أن تخاف منهي إذاً لماذا جئت إلى هنا؟

بيل: جئت من أجل ابنتي أفهمت؟ جئت لأخرجها من هنا ولأضربها.

باربارا[بهدوء] إذاً أنا كنت محقة في تحديد نوع عملك [يجلس بيل شــاعراً بالخجل فجأة] ما اسمها؟

بيل: اسمها هو موغ هابيجام.

باربارا: موغ هابيجام؟ أوه..لقد ذهبت إلى ثكنتنا في كانينغ تاون.

بيل: صحيح؟ إذاً سأذهب إلى هناك [ينهض متجهاً نحو البوابة بتردد قليلاً ثم يعود إلى باربارا] هل ستمنعينني من الذهاب إلى هناك؟

باربارا: لا..لن أمنعك من الذهاب إلى هناك إذا أردت ذلك، رغم أنني أود إبقاءك هما لإنقاذ روحك، يستحسن أن تظل هنا.

بيل: بل سأذهب إلى كانينغ تاون وأبحث عن موغ، والويل لك إذا لم أجدها هناك، يُستحسن أن تتلي جميع الصلوات التي تعرفينها عندها.

باربارا: لا فائدة من الذهاب إلى هناك يا بيل، لقد حصلت على رجل لها.

بيل: ماذا؟!

باربارا: الشخص الذي أحضرها إلى هنا ودل روحها على طريق الهداية وقع في حبها بعد أن غسلنا وجهها وشعرها، لقد كانت متسخة للغاية.

بيل: ولماذا تنظفونها؟!

باربارا: أصبحت أجمل الآن، وبانت تلك النظرة الجديدة في عينيها، لقد تأخرت كثيراً للأسف..لقد ذهبت مع الرجل الذي أحبها.

بيل: سألكمه على أنفه، وسألقنها درساً قاسياً، كيف تتركني هكذا وكأنني قذارة..؟ ما اسمه؟

باربارا: السير جنت تودجر فيرميل.

شيرلي [ينهض واقفاً] سأبحث عنه يا آنسة، وسألقنه درساً هو الآخر.

بيل [إلى شيرلي] أليس هو ذلك الشاب الذي كنت تتكلم عنه؟

شيرلي: هو بعينه.

بيل: ذلك الذي كان يصارع في قاعة الموسيقى؟

شيرلي: نال من مسابقات المصارعة تسعمائة جنيه، وقد توقف عن المصارعة الآن وكرّس وقته للدين، وتجده بحاجة إلى بعض التدريب الآن ليستعيد نشاطه، ولا يمانع أبداً في التدرب عليك..تعال معي.

بيل: كم وزنه؟

شيرلي: مائة كيلو [تفتر همة بيل]

باربارا: اذهب وتكلم معه عله يهديك.

شيرلي: سيجعل من رأسك حبة بطاطا مسحوقة.

بيل [مقطب الجبين] أنا لست خائفاً منه، أنا لست خائفاً من أحد [ثم يجلس في مكانه]

شيرلي: لن تذهب إذاً..لقد توقعت هذا [يعود إلى مكانه]

باربارا [منادية] جيني.

جيني[تظهر عند باب المقر وقد ألصقت شفتها بلصقة طبية] نعم أيها الميجور.

باربارا: أرسلي رومي ميتشنس لتنظف هذا المكان.

جيني: إنها خائفة.

باربارا: كفاك هراء، يجب أن تفعل ما أطلبه منها.

جيني[تنادي من الباب] رومي...الميجور تريد أن تراك.

تخرج جيني وتتقدم من باربارا محتفظة بمسافة بينها وبين بيل.

باربارا: مسكينة يا جيني، هل تشعرين بالتعب؟ [تنظر إلى جرحها] هل يؤلمك؟

جيني: لا...لم يعد يؤلمني.

باربارا: لقد ضربك بقوة، هل أنت غاضبة منه؟

جيني: لا..لم أعد غاضبة منه، فليسامحه الرب [تقبلها باربارا ثم تتجه مسرورة نحو المقر، تخرج رومي من المقر]

باربارا: خذي هذه الصحون والأكواب إلى الداخل لكي يغسلوها، وارم فتات الخبز للطيور.

رومي تأخذ الأطباق الثلاثة والأكواب، يحتفظ شيرلي بكوبه لأنه لم ينته من شربه بعد.

رومي: لا يوجد بقايا خبز.

برايس[يخرج من باب المقر] يوجد رجل بالداخل جاء لزيارة المقر يا ميجور، يقول: إنه والدك

باربارا: حسناً..أنا قادمة [يعود برايس إلى الداخل وتلحق به باربارا]

رومي [مخاطبة بيل] أنت لست رجلاً محترماً لأنك ضربت امرأة [لم يرد بيل لأنه كان مشغولاً بالتفكير بأمور أخرى]

شيرلي: ادخلي يا امرأة ولا تجلبي لنفسك المزيد من المتاعب.

رومي: لا شأن لك بي [تدخل المقر وبيدها الأطباق]

شيرلي: وهذا الـــ...

بيل [بوحشية] لا تتكلم معي أسمعت؟ دعني وشأني وإلا نالك مني ما لا ترضى.

شيرلي[بهدوء] سأدعك وشأنك، عموماً أنت لست هذه الصحبة التي يسعى المرء إليها [على وشك الدخول عندما تخرج باربارا ومعها أندرشافت]

باربارا: أوه..هاأنت ذا يا سيد شيرلي [تخاطبه بصوت خافت] هذا والدي أخبرتك أنه لا ديني، ربما سيريحك أن تعرف هذا.

أندرشافت [مستغرباً] لا ديني! أبداً على العكس تماماً بل أنا متصوف.

باربارا: آسفة..بالمناسبة يا أبي ما هو دينك؟ في حال اضطررت لتعريفك على أحد ما.

أندرشافت: ديني؟ حسناً يا ابنتي..أنا مليونير..هذا هو ديني.

باربارا: إذاً لا داعي لتعريفك على السيد شيرلي، أنت لست مليونيراً يا سيد شيرلي أليس كذلك؟

شيرلي: نعم..وأنا فخور بذلك.

أندرشافت: الفقر ليس مدعاة فخر لأحد يا صديقي.

شيرلي [غاضباً] ومن جعلك مليونيراً؟ أنا وأمثالي...ما الذي يبقينا فقراء؟ بقاؤك غنياً..لن أستبدل ضميري بضميرك ولا مقابل كل مالك.

أندرشافت: ولن أستبدل مالي بمالك ولا مقابل كل ضميرك يا سيد شيرلي [ثم يجلس على أحد المقاعد]

باربارا [موقفة إياه لكونه على وشك الكلام] يبدو أنك لا تصدق أنه أبي..أليس كذلك يا بيتر؟ هلا دخلت إلى المقر وساعدت السيدات هناك؟

شيرلي [بمرارة] نعم..سأساعدهن، يبدو أنني أدين لهنّ بوجبة.

باربارا: لا..ليس من أجل هذا، ولكن من أجلهن يا بيتر..[لم يفهم ما قالـــت] لا تحدق بي هكذا..ادخل وساعدهن.

[يدخل شيرلي إلى المقر، تستدير باربارا نحو والدها]

أندرشافت: لا تنشغلي بي يا ابنتي، تابعي عملك ودعيني أراقب مـــا يجـــري هنا.

باربارا: حسناً.

أندرشافت: ما خطب الرجل الذي هناك؟

باربارا[تنظر إلى بيل الجالس فـــي كآبـــة واضـــحة دون أن يتحـــرك] أوه سأعالجه بسرعة لا تتوقعها، انظر..[تذهب نحو بيل وتقف، يرفع رأسه نـــاظراً إليها ثم ينزله مجدداً إلى الوضعية التي كان عليها دون أن يغير نظرته الكئيبـــة] سترتاح لو صفعت وجه موغ هابيجام أليس كذلك يا بيل؟

بيل: لم أقل هذا، ما الذي يدريك ما الذي يجول بخاطري؟!

باربارا: إذاً أنت تفكر بصديقك الجديد.

بيل: من تقصدين؟

باربارا: الشيطان يا بيل، عندما يتسلل إلى المرء فإنه يجعله تعيساً مثلك تماماً.

بيل[متصنعاً الابتسام] أنا لست تعيساً.

باربارا: إذا لم تكن تعيساً لماذا لا تبدو عليك السعادة مثلنا إذاً؟

بيل: أنا سعيد أؤكد لك هذا، دعيني وشأني من فضلك..ماذا أخطأت بحقك؟ أنا لم أضربك.

باربارا [محاولة تهدئته] لست أنا الذي يسعى لخلاصك يا بيل.

بيل: من إذاً؟

باربارا: شخص لا يريدك أن تضرب النساء، شخص يريد أن يصنع منك رجلاً.

بيل: يصنع مني رجلاً؟ ألست برجل؟! من قال: إنني لست برجل؟

باربارا: هناك رجل بداخلك على ما أظن، ولكن لماذا جعلك تضرب جيني هيل؟ هذا ليس عملاً رجولياً، أليس كذلك؟

بيل: لقد فعلت ما فعلت وانتهى، سئمت من التحدث بهذا الموضوع.

باربارا: إذاً لماذا تفكر فيه؟! لماذا يشغل بالك إلى هذه الدرجة؟ لأنك لم تتلمس طريق الهداية بعد أليس كذلك؟

بيل: نعم..هذا صحيح.

باربارا: لأنه لا قلب لك.

بيل: ماذا تقصدين؟ كيف أكون بلا قلب كسائر الناس؟!

باربارا: لأن الرجل الذي له قلب لن يضرب امرأة مسكينة مثل جيني على وجهها.

بيل [يكاد يبكي] أوه..دعيني وشأني، لماذا تتدخلين فيما لا يعنيك؟ هل تدخلت أنا بشؤونك؟

باربارا[واضعة يدها على ذراعه مهدئة إياه] ضميرك هو الذي يؤنبك ويزعجك يا بيل، وليس أنا...لقد مررنا بهذا جميعاً، تعال معنا يا بيل [ينظر حوله] لكي تصبح رجلاً حقيقياً على الأرض، ويكون لك المجد الأبدي في السماء [إنه على وشك أن ينهار] تعال [يُسمع صوت طبل من داخل المقر يعود بيل إلى طبيعته عندما تشيح باربارا بوجهها عنه ناظرة إلى الجهة التي يأتي منها الصوت، يدخل أدولفوس من باب المقر وبيده طبلٌ فخمٌ] أوه....

هاأنت ذا يا دولي..دعني أعرفك على أحد أصدقائي..السيد بيل ولكر..هذا رجلي يا بيل..السيد كاسوس[يحييه كاسوس بإشارة من عصا الطبل التي بيده]

بيل: هل ستتزوجينه؟

باربارا: نعم.

بيل: فليكن الرب بعونه، فليكن الرب بعونه.

باربارا: ولماذا؟ هل تعتقد أنه لن يكون سعيداً معي؟

بيل: لا أحد يعلم.

كاسوس: ولكنني أحبها جداً.

بيل: لاشك في هذا [إلى باربارا] آه..هل تعلمين إلى أيــن ســأذهب ومــاذا سأفعل؟

باربارا: أنت ذاهب في النهاية إلى السماء، وستعود بعد أســبوع إلــى هنــا لتخبرني هذا.

بيل: بل ذاهب لأبصق في وجه تودجر فيرميل، وأصــفع جينــي وســأعود لأريك ذلك..ما رأيك يا سيد كاسوس؟

كاسوس [مفكراً] أنت محق يا سيد ولكر، هذا ما كان ســيفعله أي إغريقــي قديم.

باربارا: ماذا تفعل؟

كاسوس: هذا سيسعد روح السيد ولكر وسيعطي المجال للسيد فيرميل أن يتدرب قليلاً لم لا؟

بيل: من أين جئت بكلمة "روح" هذه..لا وجود لشيء كهذا..هل يوجد روح في كل منا؟ أنا لم أرها في حياتي!

باربارا: رأيتها تؤذيك عندما فعلت عكس ما تريد.

بيل: كفاك كلاماً لا أفهمه..لقد أفسدت عقلي...[يخرج من البوابة]

باربارا[ناظرة إلى كاسوس] دولي.

كاسوس: نعم يا عزيزتي..حبك متعب للغاية، لو دام أظن أنني سأموت صغيراً.

باربارا[تضحك بدلال] دولي صِفْ المقر لوالدي ليس لديّ وقت [ثم تدخل إلى المقر]

ينظر أدولفوس إلى أندرشافت.

أندرشافت: هل أنت مهتم بجيش الخلاص؟

كاسوس: نعم..جداً، ما هو دينك يا سيد أندرشافت؟

أندرشافت: شيئان مهمان للخلاص.

كاسوس: ما هما؟

أندرشافت: المال والبارود.

كاسوس[مندهشاً] هذا ما تؤمن به طبقتنا الحاكمة.

أندرشافت: تماماً.

كاسوس: ألا يوجد في عقيدتك أشياء على غرار الشرف، العدالـــة، الحقيقـــة الصدق، الحب، الرحمة...

أندرشافت: نعم..إنها من نِعَم الغني، القوة والحياة الآمنة.

كاسوس: ولو أجبر المرء على الاختيار بينها أو بين المال والبـــارود مـــاذا تختار؟

أندرشافت: أختار المال والبارود لأن بدونها لا تستطيع الحصول على الـــنِعَم الأخرى.

كاسوس: أهذا هو معتقدك؟

أندرشافت: نعم.

يهز كاسوس رأسه وينظر ملياً إلى أندرشافت الذي ينظر بدوره إليه ملياً.

كاسوس: باربارا لا تحب هذا، يجب عليك أن تختـار بـين معتقـدك هـذا وباربارا.

أندرشافت: وكذلك أنت يا صديقي، سرعان ما ستكتشف أنك غير مهتم بجيش الخلاص بقدر اهتمامك بها.

كاسوس: أنت مخطئ يا سيدي، أنا متمسك جداً بمعتقدات جـيش الخـلاص أنت الذي لم تفهم تلك المعتقدات، إنه جيش الحب والسعادة والشجاعة، لقد طرد مخاوف وندم ويأس المعتقدات التبشيريَّة البروتستانتية، لقد سار بخطوات ثابتـة لمحاربة الشر بالترومبيت والطبل، بالموسيقى والرقص، بالأيدي والرايات لكونه أصبح انطلاقة السماء، جميع المشردين جعل منهم رجالاً ونساءً حقيقيين [يعزف على الطبل]

أندرشافت: ستزعج كل من في المقر.

كاسوس: أوه..إنهم معتادون على هذا، إذا كان يزعجك الطبل [يتوقف عـن العزف ويُنزل الطبل إلى الأرض]

أندرشافت: شكراً لك.

كاسوس: أتعرف ماذا قال بورو بيدس عن المال والبارود؟

أندرشافت: لا..ماذا قال؟

كاسوس[ينشد]

كلا المال والبارود يحاول أن يتفوق على الآخر

والرجال بملايينهم يتبخترون هنا وهناك.

ويرون الآمال من خلال ملايينهم.

ويربحون في الحياة أو يخسرون.

وتتحقق آمالهم أو تخبو وتضمحل.

ولكن مع مرور الأيام يعرفون

أن العيش بسعادة هز الكنز الحقيقي

ما رأيك؟

أندرشافت: إذا كنت تريد رأيي فعلاً أقول: إن من يريد أن يعيش بسعادة فعلاً يجب عليه أولاً أن يحصل على المال الكافي لحياة كريمة، وقوة كافية لتدافع عن نفسك، وتمتلك قرارك.

كاسوس: أنت محبِط فعلاً.

أندرشافت: باعتباري والد باربارا أود أن أسألك، كيــف ستعيــشان؟ مــاذا ستعمل؟

كاسوس: أنا مدرّس لغة يونانية، سنعيش من المال الذي أجنيه من ذلك.

أندرشافت: وهل تعتقد أن زواجكما شيء جيد بالنسبة لها؟

كاسوس: سيد أندرشافت، ربما كنت تعتقد أنني لست الزوج المناسب لها ورغم أنني لا أحب الزواج وأخاف منه ولا أعرف كيف سأتدبر أموري معها إلا أنني أشعر أنني الوحيد المناسب لها والذي يجب أن أفوز بها.

أندرشافت: لقد أعجبتني.

كاسوس: وكذلك أنت.

[يتصافح الرجلان]

أندرشافت: والآن لنتكلم في العمل.

كاسوس: ماذا تقصد؟ كنا نناقش معتقداتك..لماذا نتكلم بذلك الموضوع الممل.

أندرشافت: الدين هو عملنا حالياً، لأنه من خلال الدين سنكسب قلب باربارا.

كاسوس: وهل بت تحبها أنت الآخر؟

أندرشافت: نعم..حب أبوي..حب الوالد لابنته.

كاسوس: هذا مثير للاهتمام حقاً.

أندرشافت: شكراً..آه..أنا مليونير وأنت شاعر وباربارا مخلّصة المساكين، ما فائدة الغوغاء والأغبياء لنا نحن الثلاثة؟

كاسوس: انتبه..باربارا تحب الناس الذين تطلق عليهم أنت كلمة غوغاء وكذلك أنا..ألم تشعر أنت بذلك الحب؟

أندرشافت [ببرود واستهزاء] وهل تحب الفقر مثل سانت فرانسيس؟ أم تحب القذارة مثل سانت سايمون؟ أم تحب المرض والآلام كالممرضات؟ هذه المشاعر ليست فضيلة، ولكنها مشاعر غير طبيعية، كنت في الماضي رجلاً فقيراً من الغوغاء ولا يعني حب الفقر أي شيء بالنسبة لي، دع الفقراء يتظاهرون أن الفقر والتعاسة هي نعمة، نحن الثلاثة مكاننا ليس بينهم، وباربارا مكانها ليس في جيش الخلاص.

كاسوس: إذا كنت تعتقد أنه بوسعك إبعادها عن جيش الخلاص بالتكلم معها كما تكلمت معي الآن فأنت مخطئ ولا تعرف باربارا جيداً.

أندرشافت: يا صديقي أنا لا أستجدي ما أستطيع شراءه.

كاسوس: هل معنى هذا أنه بوسعك شراء باربارا؟

أندرشافت: لا..بل بوسعي شراء جيش الخلاص.

كاسوس: مستحيل تماماً.

أندرشافت: سترى..سبب بقاء جميع المنظمات الدينية هو بيع نفسها للأغنياء.

كاسوس: ولكن ليس جيش الخلاص، إنه كنيسة الفقراء.

أندرشافت: وهذا سبب إضافي لشرائه.

كاسوس: لا أظنك تعلم ما هي الخدمات التي قدمها جيش الخلاص للفقراء.

أندرشافت: بلى أعلم..لقد قلمتم أظافرهم وهذا كاف بالنسبة لرجل أعمال مثلي.

كاسوس: لا..بل أبعدناهم عن شرب الخمر وجعلناهم مواطنين متزنين.

أندرشافت: وأنا أفضل العمال المتزنين الذين لا يعاقرون الخمر، عملهم أفضل.

كاسوس: الشرف..

أندرشافت: العامل الشريف اقتصادي أكثر.

كاسوس: أنت وغد عجوز.

أندرشافت: بل أنا رجل أعمال ناجح.

يخرج شيرلي وسنوبي برايس تتبعهما جيني من المقر.

أندرشافت [لشيرلي] لابد أن رب عملك استفاد كثيراً منـــك لكونـــك عـــاملاً شريفاً.

ينظر شيرلي إليه دون أن يفهم ما يقول ثم يجلـــس إلـــى الطاولـــة، تخـــرج باربارا.

باربارا: كنا مجتمعين مع أعضاء كريبس لان، لقد تأثروا جداً بالكلام الـــذي قلته يا سيد برايس.

برايس: يسعدني التكلم عن ماضيَّ السيئ إذا كان هذا يساعد الآخرين علـــى تلمس طريق الهداية.

باربارا: وهذا ما كان يا برايس [تلتفت إلى جيني المشغولة بعد نقود في وعاء معدني] كم يا جيني؟

جيني: أربعة وعشر بنسات يا ميجور.

باربارا: أوه يا برايس لو بالغت أكثر في وصف مقدار شقائك لكنا قد حصلنا على خمسة جنيهات كاملة.

أندرشافت: هل أتبرع لكم بباقي المبلغ؟ [يدخل يده إلى جيبه]

باربارا: وكيف حصلت على مالك؟

أندرشافت: كالعادة من بيع الأسلحة والطوربيدات والغواصات والألغام.

باربارا: أعد مالك إلى جيبك، لا تستطيع شراء خلاصك بهذا المبلغ الهزيل يجب أن تعمل بجد.

أندرشافت: مبلغ الشلن ليس كافياً؟ أستطيع دفع أكثر.

باربارا: مليونا مليون ليس كافياً، يداك مضرّجة بالدماء، لا فائدة من المال أعد مالك إلى جيبك [إلى كاسوس] دولي اكتب رسالة أخرى إلى الصحف [يتذمر] نعم أعلم أنك لا تحب هذا ولكن يجب علينا فعله، أثر الجوع كثيراً بالناس هذا الشتاء، الجميع عاطل عن العمل، يقول الجنرال: إنه يجب إغلاق هذا المقر مادمنا لا نملك المال الكافي لإطعام الفقراء، لقد ضغطت على الناس من أجل التبرع كثيراً أثناء الاجتماع لدرجة أشعرتني بالخجل.

برايس: كنت رائعة يا آنسة.

باربارا: بت أفكر بالتبرعات أكثر من إنقاذ الناس، وما فائدة هذا المبلغ الهزيل الذي جمعناه؟ نحتاج إلى الآلاف، بل إلى عشرات الآلاف من الجنيهات [تنهمر الدموع من عينيها فجأة] كيف نطعم هؤلاء الجائعين؟ لا أستطيع التكلم بالدين مع الجياع..هذا مريع..!

جيني [تسرع نحوها] ميجور...

باربارا [مكفكفة دموعها] لا تواسيني..أنا بخير، سنحصل على المال اللازم.

أندرشافت: كيف؟

جيني: بالصلاة من أجل ذلك طبعاً، تقول السيدة بينز إنها صلت من أجله ليلة أمس وهاقد حصلنا على بعضه اليوم..لم يضع جهدها هباءً.

باربارا [وقد تمالكت نفسها] بالمناسبة يا والدي ستسير معنا السيدة بينز اليوم نحو مكان الاجتماع الذي سنعقده وهي توّاقة لرؤيتك لسبب لا أعرفه، ربما تريد هدايتك.

أندرشافت: يسرني هذا يا عزيزتي.

جيني [تنظر جهة البوابة] ميجور...ميجور..هاقد عاد ذلك الرجل مجدداً.

باربارا: أي رجل؟

جيني: الرجل الذي ضربني..أوه..آمل أنه عاد للانضمام إلينا.

[يدخل بيل ولكر من البوابة، يقف أمام باربارا]

باربارا: آه..هاقد عاد بيل.

بيل: هل لازلتم تتكلمون بأمري منذ أن خرجت؟

باربارا: تقريباً..هل دفع تودجر شيئاً لك؟

بيل: لا.

باربارا: تبدو بردانَ.

بيل: الثلج ينهمر في الخارج، لقد ذهبت إلى تودجر ولكنه لم يقبل أن نتعارك قال: إنه عرف طريق الهداية أخيراً.

باربارا: هذا جيد.

بيل: وتوسّل إليَّ كي أقبل بزواجه من موغ، جثا على ركبتيه وتوسل، وكذلك فعلت موغ، كما أنها صلت من أجلي.

باربارا: ليتني كنت هناك معكم.

بيل: كما أنني آسف لما فعلت بك يا آنسة جيني [يدخل يده إلى جيبه] هـذان شلنان كنت أدخرهما للشتاء خذيهما تكفيراً لي عما فعلت بك.

جيني: لقد سامحتك يا سيد ولكر ولن آخذ منك مالاً، ليتك تعطي شلناً أو أكثر لرومي ميتشنس فقد آذيتها فعلاً كما أنها عجوز.

بيل: لن أعطيها شيئاً لأنها لن تسامحني مهما أعطيتها، إما أن تأخذي الشلنين أو أعيدهما إلى جيبي..ماذا قلت؟

جيني: سآخذهما، وسأدفع جزءاً منهما كتبرع مني إلى جيش الخلاص..ما رأيك يا ميجور؟

باربارا: لا...لا نريد مالاً منه، نريد خلاص روحك يا بيل، هذا مــا نريــده منك.

بيل: أعلم أن نقودي القليلة غير ذات فائدة لكم، أنت حفيدة إيرل..لن يرضيك مبلغ أقل من مائة جنيه.

أندرشــافت: هيا يا باربارا..خذي من هذا المسكين جنيهاً وســأدفع لــك ٩٩ جنيهاً أخرى، سيفيدك المبلغ كثيراً.

باربارا: أوه..أنت مسرف جداً يا أبي، عرض بيل عشرين بنساً، كان بوسعك دفع عشرة بنسات أخرى، هذا يكفي لجعله سعيداً، بل لشرائه..أما أنا فلست للبيع وكذلك جيش الخلاص [إلى بيل] وأنت يا بيل لن تهنأ بالسعادة أو راحة البال ما لم تأتِ وتنضم إلينا.

بيل: وأنا لا أحب الموسيقى وقرع الطبول والنساء الثرثارات، ليس لــدي إلا هذا المبلغ خذيه وإلا فلا. [يضع المال على الطبل ويجلس]

تخرج السيدة بينز من داخل المقر مرتدية زي جيش الخلاص، إنهــا ســيدة لطيفة وجدية في الأربعينيات من العمر.

باربارا: هذا والدي..السيدة بينز [يتقدم أندرشافت نحوها حاملاً قبعتـه بيـده] حاولي معه..لم يصغ إليّ لأنه يتذكرني عندما كنت طفلة صغيرة غبية [تدعهما معاً وتقف تتكلم مع جيني]

السيدة بينز: هل أروك المقر يا سيد أندرشافت؟ أنت تعرف طبعاً العمل الذي نقوم به.

أندرشافت: كل العالم يعرف ذلك يا سيدة بينز.

السيدة بينز: لا...لا يعرف العالم كله ماذا نفعل هنا، وإلا لما كنا في حاجـة ماسة للمال كما نحن عليه الآن..سنقوم بمظاهرات في لندن من أجل هذا.

أندرشافت: صحيح.

السيدة بينز: نعم..أتذكر عام ١٨٨٦م عندما لم يصغ الأغنياء إلـى صـراخ الفقراء، لقد ثاروا وحطموا نوافذ ناديكم في بول مول.

أندرشافت: نعم..أذكر هذا.

السيدة بينز: لو حصل الفقراء على ما يريدون لما كـسروا النوافـذ، تعـال لأعرفك على هذا الرجل..برايس..[يهرول برايس] هل تتـذكر حادثـة كـسر النوافذ؟

برايس: يقول والدي: إنها كانت ثورة يا سيدتي.

السيدة بينز: هل تكسر نوافذ الآن؟

برايس: لا يا سيدتي، لأنني أعرف الآن أن الثري مخطئ مثلي.

رومي [تظهر عند الباب] برايس...

برايس: ما الأمر؟

رومي: والدتك تسأل عنك عند مقر كرييل لان، لقد علمت بأمر اعترافاتك [يشحب وجه برايس]

السيدة بينز: اذهب يا سيد برايس وصلي معها.

برايس [إلى السيدة بينز] لا أستطيع مواجهتها الآن يا سيدتي بسبب ذنوبي الكثيرة [ثم ينسل خارجاً من المقر عبر البوابة سارقاً الشلن الموضوع على الطبلة دون أن يراه أحد]

السيدة بينز: أرأيت كيف نخلصهم من الغضب والحقد عليكم يا سيد أندرشافت.

أندرشافت: هذا شيء رائع بالنسبة لكل أرباب العمل يا سيدة أندرشافت.

السيدة بينز: باربارا..جيني، أحمل أنباء سارة [تسرع جيني نحوها] لقد استجاب الرب لصلواتي..قلت لكم: إنه لابد أن يحصل هذا..أليس كذلك يا جيني؟

جيني: نعم...نعم.

باربارا [تقترب من الطبل] هل حصلنا على مساعدات مالية؟

السيدة بينز: آمل أن نحصل على أموال كافية لإبقاء كل مقرّاتنا مفتوحة وعد اللورد ساكسموندهام أن يعطينا مبلغ خمسة آلاف جنيه.

باربارا: يا سلام.

جيني: رائع.

السيدة بينز: إذا...

باربارا: إذا ماذا؟

السيدة بينز: إذا وجدنا خمسة متبرعين يتبرع كل منهم بمبلغ ألف جنيه.

باربارا: من هو اللورد ساكسموندهام؟ أنا لم أسمع به من قبل.

أندرشافت [بعد أن سمع الاسم وراح يراقب ردة فعل باربارا] ألم تسمعي بالسير هوراك بودجر؟

باربارا: بودجر..هل تعني الذي يملك مصنعاً لإنتاج الويسكي؟ ويسكي بودجر؟

أندرشافت: هو بعينه...إنه أحد كبار المحسنين، لقد جدد بناء كاتدرائية هاكنيغتن ومنحوه لقب بارون من أجل ذلك، كما أنه تبرع بنصف مليون جنيه لصالح الحزب الذي ينتمي إليه، ومنحوه لقب بارون آخر.

شيرلي: ترى ماذا سيعطونه لو تبرع بخمس آلاف جنيه؟

أندرشافت: لم يتبق ما يعطونه إياه...لذلك الخمسة آلاف هذه من أجل خلاص روحه.

السيدة بينز: فل تمنحه السماء هذا..آه يا سيد أندرشافت، أصدقاؤك أغنياء جداً..هل تستطيع مساعدتنا بشأن الخمسة آلاف الأخرى؟سنقيم اجتماعاً حاشداً هذا المساء في قاعة الاجتماعات في شارع ميل إند، لو استطعت إعلان أن رجلاً قد تقدم لدعم اللورد ساكسموندهام فسيندفع آخرون ويحذون حذوه، هل تعرف أحداً [تنهمر الدموع من عينيها] فكر بالفقراء يا سيد أندرشافت..فكر ماذا سيعني هذا لهم..هل ستكون هذا الرجل؟ لن يعني ذلك المبلغ كثيراً بالنسبة لك.

أندرشافت: لن أخيب أملك يا سيدة بينز، كما أنه يسرني أن أرى بودجر يتبرع بالمال، سأدفع لكم خمسة آلاف.

السيدة بينز: أوه..شكراً للرب.

أندرشافت: ألن تشكرينني؟

السيدة بينز: لا تسخر مما فعلت يا سيدي ولا تخجل منه، أنت رجل طيب وسيعوضك الرب أضعافاً مضاعفة، وصلواتنا ستكون حصناً منيعاً حولك طوال

حياتك، هل ستعطيني الشيك لأريه للحضور أثناء الاجتماع؟ جيني اذهبي وأحضري قلماً وحبراً [تسرع جيني إلى داخل المقر]

أندرشافت: لا داعي..معي قلم [تعود جيني ويجلس أندرشافت إلى الطاولة ويكتب الشيك، يراقبه الجميع بصمت]

بيل [ساخراً إلى باربارا] ما هذا الخلاص الذي تسعون إليه؟

باربارا: توقف [يتوقف أندرشافت عن الكتابة، يستدير الجميع نحوها بدهشة] سيدة بينز هل ستقبلين ماله فعلاً؟

السيدة بينز [مندهشة] ولمَ لا يا عزيزتي..؟!

باربارا: لمَ لا..! ألا تعرفين ماذا يعمل أبي؟ هل نسيت أن اللورد ساكسموندهام هو نفسه مالك مصنع ويسكي بودجر؟ ألا تذكرين كم توسلنا إلى الحكومة لكي يمنعوه من إطلاق ألعاب نارية تشكل اسم "ويسكي بودجر" في السماء لكي لا يتذكر الفقراء الذين نحاول جاهدين تخليصهم من إدمانهم على الكحول عطشهم المميت للكحول؟ ألا تعلمين أن أسوأ ما أواجهه هنا مع هؤلاء الناس هو إدمانهم على ويسكي بودجر؟ هل ستجعلين من مقرنا امتداداً لنفوذه وتطلبين مني في النهاية أن أسكت؟

السيدة بينز: عزيزتي باربارا..اللورد ساكسموندهام يسعى لخلاص روحه مثلنا جميعاً، إذا كانت السماء قد وجدت هذه الطريقة للاستفادة من ماله هل نقف نحن عقبة في وجه دعائنا للحصول على المال الذي نريد..؟

باربارا: أعلم أنه يسعى لخلاص روحه مثلنا، دعيه يأتي إلى هنا وسأبذل ما في وسعي لمساعدته من أجل الخلاص، ولكن ما يريده في الواقع هو شراؤنا بماله.

أندرشافت [محاولاً إيجاد مبررات] عزيزتي باربارا..الكحول مادة ضرورية جداً..إنها..

باربارا: ليست ضرورية على الإطلاق.

أندرشافت: إنها مادة مساعدة للأطباء وتساعد الفقراء على تحمل ضغوطات الحياة وشقائها، أولئك التعساء الذين لا يمكنهم تحمل ضغوطات الحياة إذا كانوا غير ثملين، إنها تساعد أعضاء البرلمان على القيام بأشياء في الحادية عشرة ليلاً لا يستطيع أي شخص عاقل أن يقوم بها في الحادية عشرة صباحاً..هل هي غلطة بودجر إذا كان هذا الشراب لا يتقبله واحد في المائة من الفقراء [يستدير نحو الطاولة يوقع الشيك]

السيدة بينز: باربارا..هل سيزداد شرب هؤلاء الفقراء للكحول أم ينقص لـو جاؤوا إلينا غداً ووجدوا أبوابنا مغلقة في وجوههم؟ أعطانا اللورد ساكسموندهام لنوقف الفقراء عن شرب الكحول، هذا ما يريدنا أن نقوم به.

كاسوس [بسخرية] هذه تضحية بالنفس من جهته.

أندرشافت [ينزع الشيك من الدفتر ثم يدس الدفتر في جيبه ويقف ويتقدم مـن السيدة بينز] وأنا أيضاً أشعر ببعض أعراض النزاهة يا سيدة بينز، فكري بعملي الذي أجني منه المال، فكري باليتامي والأرامل الثكالى الذين أكون سـبباً فـي تعاستهم، فكري بالرجال والصبية القتلى في ساحات المعارك، فكـري ببحـار الدماء التي تصنعها منتجاتي المدمرة، أنا مسؤول عن كل هذا، أما أنت فـدورك الوعظ ليحل السلام العالم، كل روح تخلِّصينَها هي بمثابة تصويت ضد الحروب ومع ذلك أعطيك هذا المال لتسريع دماري [يعطيها الشيك]

كاسوس [بسخرية] سنفتتح العام المقبل بنكران الذات الذي يبديه أندرشـافت وبودجر....يا للفرحة.

السيدة بينز [تأخذ الشيك] كلما زاد عمري كلما ازددت تأكداً أن هناك طيبة لا متناهية بين الناس تحوّل كل شيء إلى عمل لصالح خلاص البشرية، من كـان يظن أن خيراً ما سيخرج من رحم الحرب أو الكحول؟ وأن بعضاً من أرباحهما ستكرس إلى خلاص الناس؟ [يبلغ بها التأثر حداً أن جعلها تبكي]

جيني [تركض نحو السيدة بينز وترمي نفسها بين ذراعيها] أوه..هذا مبارك.. هذا رائع.

كاسوس: هيا ننهي لحظات التأثر هذه ونذهب إلى الاجتماع الكبير..اعذروني قليلاً [يندفع داخلاً المقر]

السيدة بينز: هل سبق ورأيت يا سيد أندرشافت آلاف الناس يجثون على ركبهم بلحظة واحدة ويصلون. تعال معنا إلى الاجتماع..ستخبرهم باربارا أنه تم إنقاذ جيش الخلاص وأنت من أنقذته.

كاسوس [يخرج من داخل المقر حاملاً علماً ومترددة ويقف بين السيدة بينز وأندرشافت] احملي هذا العلم يا سيدة بينز [يعطيها العلم] وسيعزف لنا السيد أندرشافت على آلة المترددة، فهو عازف موهوب [بينه وبين أندرشافت وهو يدفع إليه بالآلة الموسيقية] هيا انفخ يا ماكيافيلي انفخ..

أندرشافت [يبتسم] سأبذل ما في وسعي.

كاسوس: لقد تحول الجميع هنا إلى أناس طيّبين.

باربارا: أوه..كفاك استهزاءً يا دولي.

السيدة بينز: تعالي يا باربارا..ساعديني في حمل العلم.

باربارا: لن آتي معكم.

جيني: لن تأتي؟!

السيدة بينز [والدموع في عينيها] باربارا هل تعتقدين أنني أخطأت بقبولي ذلك المال؟

باربارا [تهرع إليها وتقبلها] لا...لا فليباركك الرب يا عزيزتي، لقد أنقذت جيش الخلاص..اذهبي أرجو أن يكون اجتماعاً رائعاً.

جيني: ألن تأتي معنا؟

باربارا: لا [تبدأ بنزع البروش من ياقة قميصها]

السيدة بينز: ماذا تفعلين يا باربارا؟

جيني: لماذا تنزعين شعار جيش الخلاص؟ هل ستتركيننا يا ميجور؟

باربارا [بهدوء] تعال يا أبي.

أندرشافت [يتقدم نحوها] نعم يا عزيزتي...[يرى أنها ستقوم بتثبيت البروش في ياقة قميصه فيتراجع إلى الخلف]

باربارا [تلحق به] لا تخف..[تثبت البروش في ياقة قميصه وتتنحى جانباً ليراه الجميع] لا يعني الكثير بالنسبة لمبلغ ٥٠٠٠ جنيه أليس كذلك؟

السيدة بينز: باربارا إذا كنت لا تريدين أن لا تأتي وتصلي معنا فأرجو أن تصلي من أجلنا.

باربارا: لا أستطيع أن أصلي الآن، وربما لن أصلي أبداً مجدداً.

السيدة بينز: باربارا..!

جيني: ميجور...!

باربارا [بانفعال شديد] لم أعد أتحمل ذلك هيا تحركوا..

كاسوس [مخاطباً الناس الذين تجمَّعوا خارج المقر] هيا بنا [يأخذ عصوَي الطبل]

السيدة بينز: يجب أن أذهب الآن يا عزيزتي، أنت مجهدة وتحتاجين إلى بعض الراحة، ستكونين على خير ما يرام غداً، لن نفقدك..جيني تحركي بالعلم النار والدم..[تخرج عبر البوابة]

جيني: هيا بنا [تتحرك خارجة]

باربارا: أيها الرب لم تخليت عني..

تنهار جاثية على ركبيتها وتدفن وجهها بكفيها، يتوقف الجميع عن الكلام يقترب بيل ولكر منها..

بيل: هل تريدين فعلاً ترك جيش الخلاص؟

شيرلي: هل ضربتها؟

بيل: ضربتها..! ولِمَ أضربها؟!

تنهض باربارا ببطء وتجلس على الطاولة، يلتفت بيل نحو الطبل فلا يـــرى ماله عليه.

بيل: آه..أين ذهب المال الذي كان هنا؟ من أخذه؟

رومي: أيها الأحمق لقد سرقه برايس وهو يخرج رأيته يفعل ذلك.

بيل: ماذا؟ برايس سرق مالي..! لماذا لم تصرخي وتنبهيني عندما رأيته يفعل ذلك؟

رومي: لأنك لا تستحق ذلك.

يمسك بيل بكوب الحليب الفارغ على الطاولة ويرفعه ليرميه بهـــا، تهـــرب صارخة وتدخل المقر..يقذف بالكوب فينكسر خلفها على باب المقر.

بيل [ضاحكاً] ألم يخبرونا قبل قليل أنه تم إنقاذ روح برايس؟!

باربارا [تستدير نحوه وتقول بهدوء] كان ذلك حوالي الثانية عشر والنصف يا بيل، وقد سرق مالك حوالي الثانية إلا ربعاً.

بيل [إلى باربارا] أردتم خلاص روحي؟ لن تحصلوا عليها.

باربارا: كدنا أن نحصل عليها يا بيل، ولكننا بعناها لك بمبلـــغ عـــشرة آلاف جنيه.

شيرلي: ياله من مبلغ!

باربارا: لا يا بيتر، روحه أثمن من ذلك بكثير.

بيل: لا فائدة من محاولاتكم، أنا لا أصدقكم، لقد أثبت لنفسي اليوم أنني على حق، وداعـــاً أيهـــا الميجـــور يـــا حفيـــدة الإيـــرل..خلـــصتم روح بـــرايس النفاج..ها..ها..ها.

باربارا: وداعاً بيل.

[يخرج بيل..تقترب باربارا من شيرلي] لقد أصبحت مثلك تماماً يا بيتر بدون عمل.

شيرلي: لديك الأمل والشباب، وهذا ما يجعلك أفضل مني بكثير.

باربارا: سأبحث لك عن عمل يا بيتر..سأبذل كل ما في وسعي [تعد مالهـــا] لديّ مال يكفي لشرب فنجاني شاي في لوكهارت ولعودتي بالحافلة إلى المنـــزل سنتقاسم المبلغ [يقطب جبينه ويقف وقد جرحت كرامته...تمـــسك بذراعـــه] لا بأس..هذه مشاركة بين الأصدقاء يا بيتر، لقد أصبحنا صديقين الآن [تجره نحـــو البوابة]

شيرلي: ولكنني لست معتاداً على مصادقة من هم في مرتبتك الاجتماعية.

باربارا: غيَّر هذه العادة الآن وتكلم معي.

[يخرج الاثنان من البوابة معاً]

****

بعد الاجتماع

في اليوم التالي الليدي برايتمورت جالسة في المكتبة منشغلة بالكتابة، سارة جالسة تقرأ بجانب النافذة، باربارا في ملابسها العادية تبدو شاحبة الوجه جالسة على الأريكة، يدخل تشارلز لوماكس، يجفل لدى رؤيته باربارا في ملابسها العادية ويلحظ مقدار كآبتها.

لوماكس: أرى أنك قد خلعت ملابسك الرسمية..!

لا تعلق باربارا..تعابير الحزن بادية على وجهها.

الليدي برايتمورت[محذرة إياه] تشارلز..!

لوماكس [متألم لحال باربارا..يقترب منها] أنا آسف جداً يا باربارا، أنت تعلمين أنني بذلت جهدي لمساعدتك، عموماً إنني أرى أن ما يفعلونه هو مجرد هراء، يدعون الآن أن كنيسة إنكلترا..

الليدي برايتمورت: يكفي هذا يا تشارلز..تكلم بما تفهم فقط.

لوماكس: ولكننا جميعاً نفهم كنسية إنكلترا.

باربارا: شكراً على تعاطفك معي يا كولي، اذهب وتكلم مع سارة الآن.

لوماكس [يسحب كرسياً بجانب طاولة الكتابة ويجلس بجانب سارة] كيف حالك اليوم؟

سارة: سنذهب إلى المصنع اليوم.

لوماكس: مصنع ماذا؟

سارة: مصنع الأسلحة.

لوماكس: أوه..!

يدخل كاسوس، يجفل هو الآخر لدى رؤيته باربارا بثيابها العادية.

باربارا: توقعت أن تأتي اليوم يا دولي.

كاسوس [يجلس بجانبها] أنا آسف..لقد تناولت إفطاري للتو.

سارة: ولكننا انتهينا للتو من تناول الغداء.

باربارا: هل راودك أحد أحلامك المزعجة؟

كاسوس: لا..بل كانت ليلة هادئة.

الليدي برايتمورت: ماذا فعلت بعد الاجتماع؟

كاسوس: احتسيت الخمر.

الليدي برايتمورت: أدولفوس..!

سارة وباربارا ولوماكس [يصوت واحد] دولي.

الليدي برايتمورت: ماذا شربت؟

كاسوس: نوعاً شيطانياً من البراندي الأسباني.

باربارا: كنت أظنك أقلعت عن الشراب، أخبرنـــي الآن مـــاذا حـــدث فـــي الاجتماع؟

كاسوس: كان اجتماعاً رائعاً، جاشت عواطف السيدة بينـــز، واهتـــدى ١١٧ شخصاً، وصلوا بإخلاص شديد وعرفان بالجميل لبـــودجر، وللمحـــسن الكـــريم المجهول الذي تبرع بـــ ٥٠٠٠ جنيه، ألا وهو والدك الذي رفض الإفصاح عن اسمه.

لوماكس: هذا غريب بالنسبة له، فمعظم الناس يحبون هذه الدعاية.

كاسوس: قال مبرراً موقفه: إنه لو أعلن اسمه على الملأ فستتوافد عليه كافة الجمعيات الخيرية كالذباب على قطعة الحلوى.

الليدي برايتمورت: هذا هو أندرو فعلاً، إنه لا يفعل شيئاً صائباً دون إعطاء تبرير غير صائب.

كاسوس: لقد احتسيت الخمر معه وأقنعني أنني كنت أفعل طوال حياتي أشياء غير صائبة.

الليدي برايتمورت: أدولفوس، بما أن باربارا تركت جيش الخلاص فيتحتم عليك أنت الآخر أن تتركه، لن أدعك تعزف على الطبل في الشوارع بعد الآن.

كاسوس: لقد أطعت أوامرك حتى قبل أن تنطقي بها، تركت جيش الخلاص.

باربارا: دولي..هل كنت جاداً بشأنه؟ هل كنت التحقت به لو لم تعرفني؟

كاسوس: حسناً..في الواقع..ربما.

لوماكس: لا أظن هذا..كنت تراه هراءً بشكل أو بآخر.

الليدي برايتمورت: لا تتكلم بحماقة يا تشارلز كأنك تلميذ مدرسة..[يدخل الخادم موريسون] ما الأمر؟

موريسون: السيد أندرشافت بالباب.

الليدي برايتمورت: أدخله..[يتردد موريسون] ما الأمر..؟ ما بك؟

موريسون: هل أعلن وصوله كأي زائر غريب أم أنه بات من أهل البيت يا سيدتي؟

الليدي برايتمورت: بل أعلن وصوله.

موريسون: شكراً سيدتي على هذا الإيضاح.

الليدي برايتمورت: اذهب ودعه يدخل.

موريسون: نعم سيدتي [ينسحب]

الليدي برايتمورت: اذهبوا لتستعدوا لاستقباله يا أولاد..[تخرج سارة وباربارا] تشارلز..اذهب وأطلب من ستيفن أن يأتي إلى هنا، ستجده في غرفة الاستقبال[يذهب تشارلز] أدولفوس..أخبرهم أن يرسلوا العربة بعد ربع ساعة من الآن [يذهب أدولفوس]

موريسون..[عند الباب] السيد أندرشافت.

يدخل أندرشافت..ينصرف موريسون.

أندرشافت: وحدك..؟ يا لحظي القوي.

الليدي برايتمورت [تنهض واقفة] لا تكن عاطفياً هكذا يا أندرو..اجلس[تجلس على الأريكة ويجلس بجانبها] يجب أن تحصل سارة على ٨٠٠ جنيه سنوياً إلى أن يصل تشارلز لوماكس إلى السن القانونية التي تؤهله لحيازة التركة التي خلفها له والده قبل أن يتوفى، باربارا تحتاج إلى أكثر من ذلك وبشكل دائم لأن أدولفوس فقير الحال.

أندرشافت: نعم يا عزيزتي..سأرى ما يمكنني فعله، هل من شيء آخر؟ لك مثلاً..

الليدي برايتمورت: أريد أن أتكلم معك بخصوص ستيفن.

أندرشافت: لا يا عزيزتي، ستيفن لا يهمني.

الليدي برايتمورت: وكيف هذا؟! إنه ابننا.

أندرشافت: هل تعتقدين هذا حقاً؟ لا أراه يشبهني في شيء ولا يشبهك أنت أيضاً في شيء.

الليدي برايتمورت: أندرو..ستيفن ولد ممتاز وواثق من نفسه وذكي ومستقيم أنت تحاول إيجاد مبررات لعدم توريثه شيئاً.

أندرشافت: هذا ليس ذنبي..إنه تراث آل أندرشافت، من العار عليَّ أن أورث مصانع الأسلحة التي أمتلكها لابني الذي من لحمي ودمي.

الليدي برايتمورت: ومن غير الطبيعي ولا من اللائق أن تورثها إلى شخص آخر، هل تظن أن هذا التقليد الشرير واللا أخلاقي سيستمر إلى الأبد؟ هل تدعي أن ستيفن غير قادر على إدارة مصانعك من بعدك كسائر أولاد أصحاب المصانع الآخرين؟

أندرشافت: نعم..سيتعلم طريقة سير العمل بدون أن يفهم روح العمل بشكل جيد، كسائر أبناء أصحاب المصانع الآخرين، وستستمرُّ المؤسسة في إنتاجها إلى أن يأتي منافس لنا آخر في إيطاليا ربما أو في ألمانيا ويخترع شيئاً جديداً يجعلنا نفلس أو تضمحل تجارتنا.

الليدي برايتمورت: لا يوجد ما لا يستطيع ستيفن فعله كأي إيطالي أو ألماني كما أن ستيفن على الأقل أصيل المحتد.

أندرشافت: ولكن أريد ابن زنا ليدير المصنع.

الليدي برايتمــورت: إنه ابنتي يا أندرو، وربما أنت أيضاً كانت والدتك مــن عائلة أصيلة قبل أن تحمل بك سفاحاً.

أندرشافت: ربما..ولكن هذا موضوع آخر.

الليدي برايتمورت: لا تعقد الأمور يا أندرو، ولا تكن شريراً كما أنت عليــه الآن.

أندرشافت: هذه المناقشة هي جزء من تقاليد أندرشافت، كل زوجات أسلافي قد تكلمن مع أزواجهن بنفس الموضوع وبنفس الطريقة، إنها مضيعة للوقت، لو أردت كسر هذا التقليد المتوارث فسأكسره لصالح رجل أكثر كفاءة وقدرة مــن ستيفن.

الليدي برايتمورت [ياستياء] إذاً ارحل من هنا.

أندرشافت: أرحل من هنا..!

الليدي برايتمورت: نعم..ارحل من هنا، إذا كنت لا تريـــد أن تفعــل شــيئاً لستيفن فأنت غير مرغوب بك هنا، اذهب إلى ابن السفاح الذي ستورثه واعــتن به بدل ابنك.

أندرشافت: في الحقيقية يا "بيدي"...

الليدي برايتمورت: لا تناديني "بيدي" فأنا لا أناديك "آندي"

أندرشافت: وكيف أناديك بـــ برايتمورت..؟ إنه ليس اسماً رومانـــسياً، فـــي الحقيقة يا حبيبتي تقاليد العائلة وضعتني في موقف حرج، أنا أتقدم فـــي الـــسن وشريكي لازاروس يصر على أن أحسم أمر من يرثنـــي بطريقـــة أو بـــأخرى وطبعاً معه حق في ذلك، والمشكلة أنني لم أجد وريثاً مناسباً إلى الآن.

الليدي برايتمورت [بعناد] يوجد ستيفن.

أندرشافت: المشكلة أن كل اللقطاء الذين وجدتهم يشبهون ستيفن.

الليدي برايتمورت: أندرو..!

أندرشافت: أريد شخصاً بدون أقارب وبدون تعليم، حاقد على المجتمع، لـــم أجد شخصاً بهذه المواصفات بعد، كل دور اليتامى في هذه الأيام تعتنـــي بهـــم وتقوم بتدريسهم، لم تعد الأمور كما كانت عليه في الماضـــي للأســـف، الحـــل

الوحيد لاستمرار سلالة اللقطاء في العائلة هو إيجاد لقيط مناسب وتزويجه بباربارا.

الليدي برايتمورت: آه...باربارا..أيها المخادع..أراك تضحي بستيفن من أجل باربارا.

أندرشافت [مسروراً] ولم لا؟

الليدي برايتمورت: أندرو...المسألة ليست هي مسألة مَن تحب ومَن لا تحب أو مَن تفضل على مَن مِن أبنائك...إنها مسألة واجب، من واجبك أن تجعل ستيفن خلفاً لك.

أندرشافت: وأنت من واجبك إطاعة زوجك.

الليدي برايتمورت: أنت لا تستطيع قلب الباطل حقاً.

يدخل ستيفن..

ستيفن [عند الباب] عفواً..[على وشك الانسحاب]

الليدي برايتمورت: لا..ادخل ستيفن..[يدخل ستيفن ويجلس إلى طاولة الكتابة]

أندرشافت [بدون عاطفة] عمت مساءً.

ستيفن [ببرود] عمت مساءً.

أندرشافت [إلى الليدي برايتمورت] هل يعرف بأمر تقاليد عائلتي.

الليدي برايتمورت: نعم [إلى ستيفن] إنه ما أخبرتك به ليلة أمس يا ستيفن.

أندرشافت [عابساً] علمت أنك تريد دخول مجال صناعة الأسلحة.

ستيفن: أدخل هذا المجال..؟! مستحيل..!

أندرشافت [فاتحاً عينيه على اتساعهما] أوه...

ستيفن: لا أنوي دخول مجال الأعمال بأي شكل من الأشكال، أنا لا أحب التجارة، أريد أن أكرّس نفسي للسياسة.

أندرشافت [ناهضاً من مكانه] يا بني، هذا راحة عظيمة لي، أنا واثق أنك ستفيد بلدك.

الليدي برايتمورت: ستيفن..لن أسمح لك أن ترمي إرثاً ضخماً كهذا وراء ظهرك.

ستيفن: أمي..يجب أن تتوقفي عن معاملتي كطفل صغير، أنا لم آخذ كلامك أمس على محمل الجد لأنني ظننت أنك لست جادة فيه، ولكنني أجد الآن أنك لم تشرحي لي أموراً كان يجب أن تشرحيها لي قبل سنوات كثيرة ماضية، أنا منزعج جداً لذلك..كان من الأفضل أن أناقش مستقبلي مع والدي وجهاً لوجه بدل حياكة المخططات في الخفاء.

الليدي برايتمورت: ستيفن [تجهش بالبكاء].

أندرشافت [بتعاطف] يجب أن لا تعاملي الرجال على أنهم أطفال يا عزيزتي.

ستيفن: آسف جداً يا أمي، لقد أجبرتني...

أندرشافت [مسكتاً إياه] نعم...نعم..لا عليك يا ستيفن، لن تتدخل في شؤونك مجدداً، ولا تعتذر [يعود إلى مكانه] والآن ماذا عن مستقبلك؟ أخبرني عن مخططاتك رجل لرجل، عفواً بيدي، رجل لرجل وامرأة..

الليدي برايتمورت [التي تمالكت نفسها تماماً] فهمت وجهة نظرك تماماً يا ستيفن، افعل ما بدا لك.

[يجلس ستيفن بوقار إلى طاولة الكتابة]

أندرشافت: إذاً أنت لن تطلب مجدداً أن تخلفني في صناعة الأسلحة؟

ستيفن: نعم..أنا أتبرأ من هذه الصناعة.

أندرشافت: لا تكن متجهم الوجه يا فتى فهذا تصرف صبياني، سأمنحك فرصة لبداية جديدة في هذه الحياة بما أنك تخليت عن حقك في أن ترثني، لن تستطيع أن تصبح رئيس وزراء دفعة واحدة، ألديك إسهامات في مجال ما كالأدب أو الفن مثلاً؟

ستيفن: ليس لدي روح الفنان في شيء، لا في الموهبة ولا في الشخـصية.. حمداً لله.

أندرشافت: ولا روح الفيلسوف؟

ستيفن: لا أحب تلك التفسيرات المضحكة التي يقدمونها.

أندرشافت: جيد..ما رأيك بالجيش، البحرية، الكنيسة، البرلمـان، البرلمـان يحتاج إلى مهارات معينة..ما رأيك بالبرلمان؟

ستيفن: أنا لم أدرس الحقوق، وليس لديّ من يساعدني على دخوله، ولا أحب التملق واستجداء الآخرين لأكون عضواً فيه.

أندرشافت: وضعك عويص يا ستيفن، لم يتبق أمامنا إلا المـسرح [يتململ ستيفن] لا تريد المسرح؟ هل تحب شيئاً أو تعرف شيئاً؟

ستيفن [ناهضاً من مكانه وناظراً إليه بثبات] أنا أعرف الفرق بـين الخطـأ والصواب.

أندرشافت [يقهقه] لا تقل هذا..! ليست لديك المقـدرة علـى إدارة الأعمـال ولست بدارس للقانون، ولا تحب الفنون كلها، وتكره الفلسفة، لديك معرفة بسيطة فقط بالسر الذي حيّر الفلاسفة على مرّ العصور، وأربك المحامين، وعكّر مزاج

كل رجال الأعمال، ودمّر معظم الفنانين، ألا وهو سر الخطأ والصواب، أنــت عبقري يا رجل، عبقري حقيقي، ولازلت في الرابعة والعشرين.

ستيفن [محافظ على هدوء أعصابه بصعوبة] أنت تُسر عندما تدّعي الفكاهــة أنا لا أدعي أنني املك أكثر مما يملكه أي رجل إنكليزي شريف عند ولادته [ثم يجلس غاضباً]

أندرشافت: أوه..هذا يملكه الجميع، أنــتم كلكــم متــشابهون أيهــا النــاس المحترمون، لا تحسنون التعامل مع المتفجرات، ولكنكم جميعاً مستعدون للتعامل مع الشرف والصدق والعدالة وواجبات الإنسان ثم تقتلون بعضكم ببساطة..يالها من بلد..ويالَه من عالم..!

الليدي برايتمورت: ما رأيك أن يعمل يا أندرو؟

أندرشافت: ما يريد هو أن يفعلَه، إنه لا يعرف شيئاً ويظن أنه يعــرف كــل شيء، اجعليه سكرتيراً لأحد السياسيين ثم دعيه وشأنه فربما اســتطاع دخــول المعترك السياسي بعد فترة.

ستيفن[ينهض واقفاً] أنت تجبرني أن أقول لك: إنني لا أسمح لك أن تهــين حكومتي ممثلة بالبرلمان.

أندرشافت: حكومتك..؟! أنا الحكومة، أنا ولازاروس، هل تعتقد أنـــك أنـــت ونصف دزينة من الهواة أمثالك من الجالسين في البرلمان بوسعهم التحكم بي أو بلازاروس...؟ لا..أنت مخطئ يا صديقي، ستفعل ما نمليه عليك فقط..ستـــشن حرباً عندما يناسبنا ذلك، وتضع السلام عندما يناسبنا ذلك أيـــضاً، ســـتعرف أن وجودك هناك يحتاج إلى مهارات خاصة نحن نحددها، عندما أريد شـــيئاً يرفـــع أرباحي ستكتشف أن رغباتي هي مصلحة وطنية، وعندما يريد غيري إنقـــاص أرباحي ستطلب الشرطة والجيش، وفي مقابل ذلك ستلقى مني الدعم والتـــصفيق والتطبيل في صحفي، وفرحة تصوُرَكَ أنك رجل سياسة عظيم.

ستيفن [يبتسم ويضع يده على كتف والده] في الحقيقة يا والدي يصعب عليَّ أن أغضب منك، لقد تبين لي سخافة موقفي، أنت فخور بنفسك بلاشك بنجاحـــك في جني المال، ولكنك تعتقد أن المال هو الذي يحكم إنكلترا، واســـمح لـــي أن أعتقد غير هذا، أنا أعرف أفضل منك.

أندرشافت: وما الذي يحكم إنكلترا إذاً؟

ستيفن: الشخصية يا والدي..الشخصية.

أندرشافت: شخصية من؟ شخصيتي أم شخصيتك؟

ستيفن: لا شخصيتي ولا شخصيتك يا أبت، لكنهـــا أفـــضل العناصـــر فـــي الشخصية الوطنية الإنكليزية.

أندرشافت: ستيفن..وجدت لك المهنة التي تناسبك..أنت صحفي بالفطرة سأبحث لك في هذا المجال عن وظيفة مناسبة لك.

وقبل أن يجيب ستيفن دخلت سارة وباربارا ولوماكس وكاسوس، عبرت باربارا الغرفة نحو النافذة ووقفت عندها تنظر من خلالها، بينما تقدمت سارة نحو أمها، ذهب ستيفن إلى الطاولة وراح يتفحص الرسائل الواردة إليه.

سارة: اذهبي واستعدي يا أمي، العربة في الخارج بانتظارنا [تغادر الليدي برايتمورت الغرفة]

أندرشافت [إلى سارة] طاب يومك يا عزيزتي...عمت مساءً يا سيد لوماكس.

لوماكس: عمت مساءً.

أندرشافت [إلى لوماكس] هل أصبحت على ما يرام بعد ليلة أمس؟

كاسوس: نعم.

أندرشافت: هذا جيد [إلى باربارا] هل ستأتين لزيارة مصانع الموت والدمار التي تخصني يا باربارا؟

باربارا [عند النافذة] جئت أمس لرؤية مصنع الخلاص خاصتي وقد وعدتك أن أرد لك الزيارة.

لومـــاكس: ستجدينها مثيرة للاهتمام حقاً، زرت مصنع دولويش للأسلحة، إنه يمنح المرء إحساساً غريباً بالاطمئنان، وخصوصاً عندما أفكــر بعــدد الفقــراء والمتسولين الذي يمكن أن يُقتلوا إذا ما نشب قتال [إلــى أندرشــافت] لابــد أن مصانعك تشعرك بإحساس عميق بالخزي أليس كذلك؟

سارة: أرجو أن لا تنزعج من وقاحة كولي يا والدي.

أندرشافت: السيد لوماكس ينظر إلى الأمر من زاوية صحيحة يا عزيزتي.

لوماكس: وهذا ما قصدته فعلاً..أؤكد لك ذلك.

سارة: هل ستأتي معي يا ستيفن؟

ستيفن: أوه..حسناً..أنا مشغول بعض الشيء، أوه..سآتي إذا...إذا كان لــي متسع.

أندرشافت: أستطيع اصطحاب اثنين معي على الدراجة النارية الحديثة التــي أجربها، اعذروني لأنها ليست مدهونة بعد، ولكنها دراجة نارية قويــة تــصلح لساحات القتال وهي مضادة للرصاص.

سارة: أوه..أفضل الذهاب بالسيارة.

كاسوس: لماذا نحن ذاهبون إلى مصنع الجحيم؟

باربارا: لطالما تصورته في ذهني على أنه مكان مظلم به عمال قد تلوثت وجوههم البيضاء بالدخان الأسود، ويجبرون على العمل الشاق بلا رحمة، أليس هو كذلك يا أبي؟

أندرشافت: على العكس تماماً يا عزيزتي، إنه مصنع ضخم حديث شديد النظافة، مقام على هضبة جميلة في بلدة رائعة.

كاسوس: هل بها كنيسة لأتباع المذهب المنهجي؟

أندرشافت: نعم..يوجد اثنان منها، واحدة قديمة وأخرى حديثة، كما أن هناك جماعة لا دينية في البلدة إلا أنها لا تلقى الدعم الكافي لكون معظم عمالي شديدي الإيمان بالله.

كاسوس: ومع ذلك لا يعارضونك في شيء؟

باربارا: هل يطيعون أوامرك؟

أندرشافت: أنا لا آمرهم، أتكلم معهم بكل تودد ولطف، وأسألهم دوماً عن صحتهم وصحة أطفالهم وزوجاتهم.

كاسوس: ولكن كيف تضمن حسن سير العمل؟

أندرشافت: عن طريق رقابة مشرفيهم الصارمة عليهم، كما أنه يوجد من يراقب أداء المشرفين أنفسهم، أما أنا فبقي لي دور الإشراف العام.

كاسوس: أنت فعلاً...أوه..كما قلت لك أمس.

باربارا: ماذا قال لك أمس؟

أندرشافت: لا تأبهي بكلامه يا عزيزتي، يظن أنني سبب شقائك أصحيح هذا..؟

باربارا: وهل تعتقد أنني سعيدة بهذه الثياب؟ هل تعرف ماذا فعلت بي؟ بالأمس كدت أهدي شخصاً إلى الطريق المستقيم في هذه الحياة نحو الخلاص وعندما قبلنا تبرعك عاد إلى شرب الخمر، لن أغفر لك هذا..

أندرشافت: أرى أن اليأس تسرب بسهولة إلى قلبك.

باربارا: معك حق..يجب أن لا يتسلل اليأس إلى قلبي بهذه السهولة.

أندرشافت: ها قد تعلمت شيئاً جديداً الآن.

باربارا: حسناً...خذني إلى مصنع الموت عليَّ أتعلم أشياء أخرى..تعال يا دولي.

كاسوس: أنا قادم يا ملاكي الحارس.

تقع مصانع أندور على سفح تلة ضمن بلدة أنيقة ذات منازل بيضاء الجدران يكسو سقوفها الآجر الأحمر..

تقف باربارا بجانب متراس وعلى يمينها مدفع، المتراس يصل في نهايته إلى المصنع، يصل كاسوس عبر الممر المنتهي بالبلدة.

باربارا: حسناً ماذا لديك؟

كاسوس: كل شيء ممتاز ورائع هنا، البلدة نموذجية حقاً.

باربارا: هل علمت فيما إذا فعلوا شيئاً لبيتر شيرلي.

كاسوس: لقد عينوه كبواب ومراقب دوام، ولكنه تعس للغاية، يدعي أن مراقبة الدوام هو عمل يحتاج إلى جهد عقلي وهو لا يحب مثل هذا النوع من الأعمال...كما أن مسكنه الملاصق للبوابة رائع وأنيق إلى درجة يشعر بالخجل من استعمال مرافقه.

باربارا: مسكين بيتر.

يصل ستيفن من البلدة وبيده نظارات مُعظّمة.

ستيفن [بحماس] هل تجولتما في المكان؟ لماذا تركتمانا؟

كاسوس: أردت رؤية كل شيء، وأرادت باربارا أن تتكلم مع العمال.

ستيفن: وهل وجدت شيئاً مخزياً؟

كاســوس: لا..الجميع يطلق عليه لقب داندي آندي، وفخورين به، وكل شيء على ما يرام بطريقة مخيفة.

تصل سارة.

سارة: يا إلهي..ما هذا المكان، هل رأيتم الحضانة؟!

ستيفن: هل رأيت المكتبات والمدارس؟!

سارة: وقاعة الرقص، وقاعة الاحتفالات في البلدة؟!

ستيفن: هل زرتم شركة التأمين الملحقة بالمصنع؟! وقسم المتقاعدين؟!

يخرج أندرشافت من مبنى مجاور به عدة مكاتب وينزل الدرج نحوهم وبيده عدة رسائل.

أندرشافت: هل تجولتم في المكان، آسف لانشغالي عنكم بهذه اللحظات، لقــد وصلتني أخبار جيدة من منشوريا.

ستيفن: هل حقق اليابانيون نصراً آخر؟

أندرشافت: لا أدري، لا يهمنا من ينتصر، الأخبار الجيدة أن الطائرة الحربية المقاتلة الجديدة التي صنعناها قد نجحت نجاحاً باهراً في ساحات القتــال هنــاك لقد سوت الأرض بحصن منيع كان يتحصن به ثلاثمائة جندي.

كاسوس: تقصد دمى على شكل جنود؟

أندرشافت: لا..بل جنود حقيقيون.

يتبادل كاسوس وباربارا النظرات فيما بينهما.

أندرشافت: ما رأيك بالمكان يا ستيفن؟

ستيفن: أوه..رائع بكل معنى الكلمة..انتصار كامل للصناعة الحديثة بصراحة يا والدي لقد كنت مغفلاً، لم أكن أدر ما يعني كل هذا، قوة التنظيم، وبراعة الإدارة، وجرأة التنفيذ، والذكاء المالي، ورؤوس الأموال الضخمة التي تمثل كل هذا...هذا شيء رائع بكل معنى الكلمة، لكن لديّ انتقاد واحد.

أندرشافت: وما هو يا بني؟

ستيفن: أنت تفطر في دلال عمالك وموظفيك بكل هذه المؤن والأطعمة التي تقدمها لهم، هذا ما لاحظته أثناء استمتاعنا بشرب الشاي في ذلك المطعم الرائع لقد أتخمونا بمختلف أنواع الكعك الفاخر والمربيات اللذيذة، وكل هذا بثلاثة بنسات..أنا لا أتخيل هذا..

أندرشافت: يجب إسعاد الموظفين والعمال وتأمين كل وسائل الراحة والطمأنينة لهم من أجل ضمان استمرارية الإنتاج بأفضل مقاييسه، ولا تنس أننا

نعيش بقلق مستمر هنا، إذ تكفي غلطة بسيطة من أحدهم لتحويلنـــا إلـــى قطـــع صغيرة، فالمكان متخم بكل أنواع المتفجرات.

سارة: بالمناسبة يا أبي، أين تصنعون المتفجرات؟

أندرشافت: في مستوعبات صغيرة منفصلة مثل تلك التي هناك، عندما ينفجر أحدها تكلفنا فقط أرواح من يعمل داخلها ومن هم بجوارها.

ستيفن الذي كان يقف قريباً من أحدها يبتعد بضعة خطوات عنها، وفي نفس اللحظة ينفتح بابها ويخرج منه لوماكس

لوماكس [ينظر إلى وجوههم والخوف مرتسم علـــى ملامحهـــم] لا داعـــي للخوف يا جماعة المكان آمن بما فيه الكفاية.

أندرشافت [إلى العامل الذي خرج خلف لوماكس] كيف هي الأمور بالداخل يا بيلتون؟

بيلتون: بخير، سوى أن هذا السيد قد تمشى بالداخل وأشعل سيجارة.

أندرشافت: آه..[إلى لوماكس] وماذا فعلت بعود الكبريت؟

لوماكس: أنا لست غبياً، لقد أطفأته طبعاً وتأكدت تماماً أنه مطفأ قبل أن أتابع سيري.

أندرشافت: هل لي أن أرى علبة الكبريت التي تحملها؟

لوماكس [يخرج العلبة من جيبه] طبعاً...تفضل.

أندرشافت: شكراً [يدس العلبة في جيبه]

لوماكس [مفسراً] هذه المتفجرات لا تنفجر من تلقاء نفسها كالبارود، إنها تحترق بهدوء وبشكل غير مؤذٍ إذا ما تعرضت للحرارة الشديدة، إنها خطرة فقط عندما تعبأ في أمكانها داخل القنابل.

تصل الليدي برايتمورت من البلدة وبيدها باقة أزهار.

الليدي برايتمورت: أندرو، كان يجدر بك أن لا تدعني أرى هذا المكان.

أندرشافت: لماذا يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: لا عليك...لا تسأل لماذا..مجرد فكرة أن كل هذا المكان هو لك [تشير إلى البلدة] وتحتفظ بها لنفسك طوال هذه السنين تشعرني بالغضب.

أندرشافت: إنها ليست لي، إنها إرث أندرشافت وأنا جزء منها.

الليدي برايتمورت: ربما كانت مصانع الأسلحة هي ملكاً لك، ولكن كل تلك المنازل الجميلة بحدائقها الرائعة وأثاثها الفخم يحتاج إلى امرأة لتشرف عليه.

أندرشافت [يقترب منها ويشم عبق الأزهار التي تحملها] من أين لك هذه الأزهار يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: قدمها لي عمالك أثناء زيارتي كنيسة ويليام موريس في البلدة.

كاسوس: أوه..كنيسة للعمال..!

الليدي برايتمورت: لقد أعجبتني مقولة ويليام موريس المكتوبة على الجدار بخط كبير " لا أحد جدير بما فيه الكفاية ليكون سيد غيره"

أندرشافت: لقد أربكت هذه العبارة العمال عندما قرؤوها لأول مرة، ولكنهم اعتادوا عليها الآن.

الليدي برايتمورت: أندرو، لن أسألك مجدداً عن حق ستيفن بالميراث، فعناده يجعله غير جدير بالإرث، لكن باربارا لها الحق به مثل ستيفن، لماذا لا تورث زوج باربارا القادم ألا وهو أدولفوس؟ سأدير شؤون البلدة وأدع له إدارة مصانع الأسلحة.

أندرشافت: إنها فكرة مناسبة جداً في حال كان أدولفوس ابن سفاح، إنه النوعية من الرجال المناسبة جداً لمجال الأعمال ولكنه للأسف ليس ابن سفاح [يستدير ويتجه نحو مكتبه]

كاسوس: ليس تماماً [ينظر الجميع إليه بدهشة]

أندرشافت [مقترباً منه] ماذا تقصد؟

كاسوس: أود أن أعترف بشيء.

سارة

الليدي برايتمورت

باربارا

ستيفن [بصوت واحد] اعتراف...

لوماكس: أوه..

كاسوس: نعم..اعتراف..اسمعوا..كنت أعتبر نفسي رجلاً صادقاً ومحترماً إلى أن التقيت بباربارا، بعدها بدأت أريدها أكثر من أي شيء آخر، أكثر من الصدق واحترام النفس.

الليدي برايتمورت: أدولفوس...!

كاسوس: هذه هي الحقيقة، اتهمتني أنت بنفسك يا ليدي برايتمورت أنني التحقت بجيش الخلاص من أجل خاطر عيون باربارا لا إيماناً بقيم الجيش وأفكاره وهذا صحيح.

لوماكس: أوه..!

كاسوس: وعندما علمت بالحقيقة المرعبة..

الليدي برايتمورت: ماذا تقصد بالحقيقة المرعبة يا أدولفوس؟

كاسوس: أنها غنية جداً وأن جدها لأمها كان إيرل وأن والــدها هــو أميــر الظلام..

أندرشافت: أوه..!

كاسوس: وأنني مجرد مغامر يحاول الحصول على زوجة غنية رحت أحاول خداعها بشأن مولدي.

باربارا: دولي.

الليدي برايتمورت: مولدك..! لا تحاول اختلاق قصة شريرة طمعــاً بتلــك الثروة يا أدولفوس، وتذكر أنني رأيت صور والديك، كما أن جنــرال جنــوب غرب أستراليا يعرفهما جيداً بشكل شخصي، وأكّد لي أنهما شخصان محترمــان جداً ومتزوجان.

كاسوس: إنهما كذلك في أستراليا، وزواجهما معترف به هناك ولكن ليس هنا في إنكلترا، إنهما يعتبران منبوذين هنا لأن أمي هي أخت زوجة والدي المتوفاة ولهذا أنا أعتبر هنا ابن سفاح لأن هذا الزواج غير معترف به في إنكلترا كمــا تعلمون.

باربارا: هذه سخافة.

كاسوس: هل هذا ينفع يا ماكيافيللي؟

أندرشافت [مفكراً] ربما يكون كذلك.

الليدي برايتمورت: هذا هراء...

أندرشافت [إلى كاسوس] أنت رجل مثقف وهذا ضد التقاليد.

كاسوس: ولكن اللغة الإغريقية لم تدمر عقلي، بل جعلتــه ينمــو ويتغــذى بالإضافة إلى أنني لم أتعلمها في مدارس إنكليزية عامة.

أندرشافت: هم.م...لقد أقنعتني...أنت مقبول.

باربارا: لزمت الصمت صباح أمس يا دولي عندما أخبرنا ستيفن بأمر التقاليد ثم زاد اهتمامك بها بعد ذلك..هل كنت تفكر في مولدك حينها؟

كاسوس: نعم.

أندرشافت: آها...إذاً كانت عينك على تجارتي يا صديق أليس كذلك؟

كاسوس: لا..لم أحب مقاتلاتك الحربية.

أندرشافت: دعك منها الآن، دعنا نخوض في التفاصيل العملية، هل تعــرف أنك ستضطر إلى تغيير اسمك؟ هل توافق على ذلك؟

كاسوس: وهل من يسمى أدولفوس ويلقب بدولي يمانع إن غير اسمه؟

أندرشافت: جيد، أما بالنسبة إلى المال أعرض عليك مرتباً سنوياً مقداره ألف جنيه كبداية.

كاسوس [غاضباً] ألف جنيه؟ أتجرؤ على تخصيص مبلغ ألف جنيه فقط وأنا زوج ابنة المليونير..لا...لا تغشني يجب أن أحصل على ألفين وخمسمائة جنيه سنوياً لمدة سنتين، وبعد ذلك يمكنك طردي إذا فشلت في عملي، وإذا نجحت فيجب أن تعطيني مبلغ الخمسة آلاف جنيه الأخرى.

أندرشافت: أي خمسة آلاف جنيه؟

كاسوس: المتبقية من مرتبي السنوي والبالغ ألفين وخمسمائة جنيه سنوياً لأنك تكون قد أعطيتني نصف مرتبي فقط واحتفظت بالنصف الآخر ريثما أثبت جدارتي في العمل، فأنا أريد خمسة آلاف جنيه خلال هاتين السنتين، أما في السنة الثالثة فيجب أن أحصل على عشرة بالمائة من صافي الأرباح.

أندرشافت [مدهوشاً] عشرة بالمائة..! لماذا يا رجل..هل تعلم كم هي أرباحي؟

كاسوس: هائلة..وإذا لم تكن كذلك فسأطلب خمساً وعشرين بالمائة.

أندرشافت: ولكن سيد كاسوس يبدو أنك لم تأخذ بحـــسبانك موضـــوع رأس المال.

كاسوس: ماذا؟ رأس المال..! ألا يُعد تمكني من اللغة الإغريقية رأس مال؟ ألا يُعد معرفتي بأجمل الأشعار الإغريقية رأس مال..! وماذا عن شخـــصيتي؟ وذكائي؟ وحياتي؟ ومهنتي؟ وماذا ستقول باربارا عني؟ أليس هـــذا كلـــه رأس مال..؟ كلمة واحدة أخرى منك وسأضاعف المرتب الذي أريده.

أندرشافت: كن عقلانياً..

كاسوس [مقاطعاً] سيد أندرشافت هذه هي شروطي اقبلها أو ارفضها.

أندرشافت [بعد أن فكر قليلاً] حسناً..لقد تفهمت شروطك وأعـــرض عليـــك نصف ما طلبت.

كاسوس: النصف؟

أندرشافت [بصرامة] نعم..النصف.

كاسوس: تعتبر نفسك رجلاً راقياً ثم تعرض عليَّ النصف؟

أندرشافت: أنا لا أعتبر نفسي رجلاً راقياً ولكنني أعرض عليك النصف.

كاسوس: أهذا ما تقدمه لشريك المستقبل؟ لخلفك؟ لصهرك!

باربارا: أنت تبيع نفسك له يا دولي، دعني خارج الصفقة من فضلك.

أندرشافت: ومن أجل خاطر عيون باربارا سأكون كريماً معـك، سـأعطيك ثلاثة أخماس..هذا آخر كلام عندي.

كاسوس: قبلت.

لوماكس: ماذا؟ آنا آخذ فقط ثمانمائة أتعرف هذا؟

كاسوس: بالمناسبة أنا ضعيف بالرياضيات، هل ثلاث أخماس أكثر أو أقـل من النصف؟

أندرشافت: أكثر طبعاً.

كاسوس: كيف سنقنع شريكك لازاروس بإعطائي هذا المبلغ الضخم؟

أندرشافت: لازاروس رجل رومانسي لا يهتم إلا بحضور المسرحيات التـي تعرض هنا وهناك، لن يمانع في شيء كهذا.

باربارا: هل انتهت الصفقة يا دولي؟ هل بعت نفسك إليه؟

كاسوس: ليس بعد، لقد انتهينا من مناقشة مرتبي فقط...ماذا عـن الجانـب الأخلاقي؟

الليدي برايتمورت: لا يوجد جانب أخلاقي في الأمر أبداً يا أدولفوس، ستبيع الأسلحة ببساطة لمن معهم الحق وترفض بيعه للأجانب والمجرمين.

أندرشافت: لا..الأمر ليس هكذا، ستنفذ عهد صانع الأسلحة.

كاسوس: وما هو عهد صانع الأسلحة؟

أندرشافت: أن تزود بالسلاح كل من يستطيع الدفع دون الأخذ بعين الاعتبار الأشخاص أو المبادئ أو الاتجاهات الدينية أو السياسية أو الاختلافات العرقية..ستزود السلاح للماركسي والشيوعي، والاشتراكي والرأسمالي، والملحد والمتدين، والبروتستانتي والكاثوليكي، وللأسود والأبيض والأصفر، وللشرطي وللص ولرجل العصابة، لكل الجنسيات والأعراق والأديان.

كتب أول فرد من آل أندرشافت على دكانه عبارة:

"مادام الرب قد أعطى الإنسان يداً فيجب أن لا نمنعه من أن يمسك بها سيفاً"

وكتب خلفه هذه العبارة:

" من حق الجميع أن يقاتل وليس من حق أحد أن يقضي بين الناس"

وكتب أندرشافت الثالث:

" للإنسان السلاح وللسماء النصر"

أما أندرشافت الرابع فقد كان أمياً لا يحب العلم فلم يكتب شيئاً، إلا أنه باع المدافع لنابليون تحت سمع ونظر جورج الثالث.

وكتب الخامس:

" السلام لن يسود ما لم نمسك السيف بيدنا"

أما أندرشافت السادس وهو معلمي فقد كان أفضل الجميع، كتب يقول:

" لن يحصل شيء في هذا العالم ما لم يُهيأ الناس لقتل بعضهم"

وبعد ذلك لم يتبق للسابع ما يكتبه فكتب ببساطة:

" نبيع السلاح بلا خجل"

كاسوس: صديقي ماكيافيللي، سأكتب أنا بدوري شيئاً على الجدار، ولكنني سأكتبه باللغة الإغريقية، ولهذا لن تستطيع قراءته، أما بالنسبة لعهد صانع الأسلحة فلن أتقيد به، سأبيع الأسلحة لمن أريد وأمتنع عن بيعها لمن لا أريد.

أندرشافت: منذ اللحظة التي ستصبح فيها أندور أندرشافت لن تكون قادراً على أن تتصرف كما تريد لذلك كف عن محاولاتك للحصول على السلطة أيها الشاب.

كاسوس: أنا لا أسعى إلى السلطة، كما أنك لا تملك أي سلطة.

أندرشافت: هذا صحيح.

كاسوس: لدي قوة وسلطة أكثر منك، أنت لا تقود هذا المكان بل هو الذي يقودك، من يقود هذا المكان؟

أندرشافت: قوة أنا جزء منها.

باربارا: والدي..ما معنى هذا؟ أتدري ما تقول؟

كاسوس: أنا أعرف ماذا يقصد، يقود هذا المكان الجانب السيئ من المجتمع الساعين وراء المال بأي وسيلة ووراء النفوذ، الساعين وراء الترقيات العسكرية وهو يعمل عبداً لهم.

أندرشافت: ليس بالضرورة، تذكر عهد صانع الأسلحة، أنا أتلقى الطلبات من الرجال الصالحين كما أتلقاها من الأوغاد، لا تلمني إذا أراد الصالحون الوعظ ثم شراء الأسلحة لمقاتلة الأوغاد..اسأل باربارا إنها تعرف المعنى الحقيقي للقـوة أخبريه يا ابنتي.

باربارا: كنت أمتلك قوتي الذاتية قبل أن ألتحق بجيش الخلاص، وبعد ذلك لم أعد أدري ماذا أفعل بها، ولم يكن لدي وقت كافٍ لأفكر بها.

أندرشافت: ولماذا حصل هذا..؟ أتعرفين السبب؟

باربارا: بالأمس كنت أعتقد أن قوتي مستمدة من وجودي في جيش الخلاص ثم تفاجأت عندما اكتشفت أن قوى جيش الخلاص مستمدة من تبرعات بـودجر وأندرشافت، لقد انهار كل شيء أمامي عندما رأيتك توقع على ذلك الـشيك يـا أبي، شعرت أنني أقف وحيدة دون قوة.

أندرشافت: لا تكوني تراجيدية هكذا يا ابنتي، في هذا المصنع عندما ننفق سنوات من العمل وآلاف الجنيهات على سلاح جديد ثم نجربه ويثبت فشله فإننا نتخلص منه في الحال دون أن نهدر المزيد من الوقت ونبدأ في التفكير بآخر أفضل منه مستفيدين من خبرات فشلنا السابقة، وكذلك أنت يا حبيبتي ابحثي عن شيء أفضل من جيش الخلاص هذا ولا تفكري في الماضي.

باربارا: أوه..كم سأكون سعيدة عندما أجد أفضل منه ولكنك قدمت لي هنا أسوأ منه رغم نظافته وجماله الظاهري.

أندرشافت: أنا لا أراه مكاناً سيئاً أو مظلماً يا صغيرتي، بل رأيت الجوع والبؤس والشقاء في المقر الذي كنت تعملين فيه، كنت تعطيهم الخبز وتدعيهم يحلمون بالفردوس، بينما أنا أعطيهم مرتبات تصل إلى اثني عشر ألفاً في السنة وأجعلهم يحققون أحلامهم.

باربارا: وماذا عن أرواحهم؟

أندرشافت: أنا أنقذ أرواحهم كما أنقذت روحك.

باربارا: أنت أنقذت روحي؟! ماذا تعني؟!

أندرشافت: لقد أمنت لك المسكن المحترم والحياة الكريمة، وأطعمتك وألبستك وزودتك بالمال اللازم لمتطلباتك وهكذا أنقذتك من الخطايا السبع المميتة.

باربارا: الخطايا السبع المميتة..! ما هي؟

أندرشافت [عاداً على أصابعه] الغذاء، الكسوة، الدفء، الإيجار، الضرائب الاحترام، الأطفال، لا شيء بوسعه حمل أعبائها الثقيلة عن كاهل الإنسان سوى المال، ولا تستطيع الروح أن تسمو ما لم ترتفع عنها هذه الأعباء السبعة، وأنا رفعتها عن روحك، جعلت من باربارا الميجور باربارا، وأنقذتها من جريمة الفقر.

كاسوس: وهل تسمي الفقر جريمة؟!

أندرشافت: بل أسوأ الجرائم، كل الجرائم الأخرى تعتبر فضائل بالقياس إليها، لأن الفقر قد يجتاح مدناً بأكملها ناشراً طاعونه المميت الذي يقتل كل من يصيبه..ما تسمونه جريمة هو لا شيء بالقياس إلى الفقر، ما معنى جريمة قتل هنا أو سرقة هناك؟ ما أهميتها بالنسبة إلى المجتمع؟ إنها مجرد أمراض للحياة..ولكن هناك ملايين الفقراء الأذلاء الوسخين المرضى الجائعين العريانين إنهم يسممونا أخلاقياً وجسدياً لأنهم يقتلون سعادة المجتمع، يجعلوننا نخاف الأغبياء فقط هم الذين يخافون الجرائم، بينما نحن نخشى الفقر.

[يستدير نحو باربارا] لقد أخبرتني عن ذلك البائس الذي كدت أن تفلحي في إنقاذ روحه في ويست هام، واتهمتني أنني جررته إلى الهلاك، حسناً..أحضريه إلى هنا وسأجر روحه نحو الخلاص مجدداً من أجلك ليس بالكلام ولا بالأحلام

بل بالمال، سأعطيه مرتباً أسبوعياً مقداره تسعة وثلاثون شلناً، ومنزلاً محترماً في شارع أنيق، عملاً دائماً.

باربارا: وهل سيكون أفضل حالاً مما عليه الآن؟

أندرشافت: أنت تدرين تماماً أنه سيكون أفضل حالاً، سيأكل أفضل، ويسكن في منزل أفضل، ويرتدي ملابس أفضل، وسيتصرف بطريقة أفضل، وسيتربى أولاده في بيئة أفضل سليمين ومعافين من الأمراض، هذا بالتأكيد أفضل من حصيرة في مقرك يجلس عليها ويأكل كسرات الخبز ثم يجبر بين الحين والآخر على الركوع على ركبتيه ليشكر الرب على هذه النعمة..حاولي إنقاذ أرواح عمالي فأرواحهم جوعى لأن أجسامهم شبعى..

الليدي برايتمورت: كفاك خطابات يا أندرو..هذا ليس المكان الملائم لذلك.

أندرشافت: عزيزتي..ليست لديّ طريقة أخرى لإيصال أفكاري للآخرين.

الليدي برايتمورت: أفكارك سخيفة أنت تتبناها لأنك أناني ولا تدقق فيها.

أندرشافت: على العكس تماماً، أنا أدقق في أفكاري جيداً، وأعرف تماماً ما يعنيه الفقر والجوع، بينما الأخلاقيون لا يدققون فيها فيجعلونها فضائل، أفضّل أن أكون لصاً من أن أكون فقيراً أحيا عالة على غيري، أفضّل أن أكون قاتلاً من أن أكون عبداً...لا أريد أن أكون لصاً أو قاتلاً إلا أنني أكره الفقر

والعبودية، ودعيني أخبرك شيئاً، صمد الفقر والعبودية طويلاً في وجه المقالات والخطب الرنانة، إلا أنه لم يصمد في وجه أسلحتي...لا داعي للتكلم معهم بـــل اقتلهم...

باربارا: أرى أن القتل هو علاج كل شيء بالنسبة إليك.

أندرشافت: إنه كذلك.

الليدي برايتمورت: هيا يا أولاد، سنعود إلى المنزل في الحال..آسفة جداً يـــا أندرو أن سمحت لك بدخول بيتي، أنت شرير جداً بأفكارك...هيا تعالوا.

باربارا [هازة رأسها] لا فائدة من الهرب من الأشرار يا أمي.

الليدي برايتمورت: ولكنها تظهر عدم موافقتنا لهم.

باربارا: إنها لا تنقذ روحهم.

الليدي برايتمورت: أرى أنك تريدين أن تعصيني..سارة: هل ستأتين معي أم لا؟

سارة: أعتقد أنه من العار على والدي أن يصنع الأسلحة، ولكنني أرى أننـــا يجب أن لا نتركه من أجل هذا.

لوماكس: في الحقيقة يوجد بعض الكلام الفارغ فيما يتعلــق بمفهــوم الــشر يجب أن ننظر إلى جوهر الأمر، ليس معنى هذا أنني أناصر الشر ولكن المشكلة كما تعلمون كل الناس يرتكبون أخطاء ويقعون في شرور ويجب أن نتكيف مــع الجميع بطريقة أو بأخرى، ما أعنيه أننا لا نستطيع مقاطعــة الجميــع لكــونهم مخطئين أو أشراراً...هل أوضحت وجهة نظري؟ [يجيل بناظريه فــي العيــون المحدقة به]

الليدي برايتمورت: أنت تتملق أندرو يا تشارلز لأنه ناجح ولديه الكثير مــن المال ليعطيه لسارة.

لوماكس: حيث يوجد الطعام تتجمــع النــسور.. ألا تعــرفين هــذا؟ [إلــى أندرشافت] ما رأيك؟

أندرشافت: بالضبط، بالمناسبة، أتسمح لي أن أدعوك تشارلز؟

لوماكس: بكل سرور، وكولي إذا أردت.

أندرشافت [إلى الليدي برايتمورت] بيدي...

الليدي برايتمورت [بعنف] لا تدعوني بيدي...تشارلز لوماكس: أنــت غبــي أدولفوس كاسوس: أنت ماكر، ستيفن: أنت لص...باربارا: أنت مجنونة..أندرو: أنت تاجر مبتذل...الآن الجميع بات يعرف رأيي فيه. وقد ارتاح ضميري.

أندرشافت: عزيزتي...أنت تجسيد للأخلاق النبيلة..ضميرك ارتاح وانتهى واجبك عندما نعتّ كل منا بصفة هيا يا يورو بيديس. لقد تأخر الوقت ونريد العودة إلى منازلنا...قرري ماذا تريدين.

كاسوس: هل فهمتِ ما قال؟

الليدي برايتمورت: أدولفوس!

أندرشافت: دعيه يا بيدي...تابع يا كاسوس.

كاسوس: لقد وضعتني في ورطة كبيرة. أريد باربارا.

أندرشافت: أنت كسائر الشباب تبالغ في التمييز بين امرأة وأخرى.

باربارا: اختيارك صائب يا دولي.

كاسوس: كما أنني لا أريد أن أكون وغداً.

أندرشافت: أرى أنك لم تحسم أمرك بعد.

كاسوس: لا أدري...الجانب الشاعري في داخلي يبعدني عن أن أكون رجلاً صالحاً..ولكن هناك أشيائي داخلي يجب أخذها بعين الحسبان مثل الشفقة.

أندرشافت: الشفقة؟ إنها قمامة البؤس.

كاسوس: فإذاً الحب.

أندرشافت: أنت تحب المحتاجين والمنبوذين، تحب المـــضطهدين والزنـــوج والهنود الحمر والخاسرين في كل مكان، هل تحـــب اليابـــانيين؟ هـــل تحـــب الفرنسيين؟ هل تحب الانكليز؟

كاسوس: لا..كل انكليزي حقيقي يمقت الانكليز، نحن أشدّ أمة شراً على وجه الأرض، ونجاحنا هو رعب للأخلاق والفضيلة.

أندرشافت: أهذا ما تعنيه بالحب؟

كاسوس: ألا أحب حتى والد زوجتي؟

أندرشافت: ومن يريد حبك لي؟ أنا لا أريده..أفضل بدلاً عنه الاحترام.

كاسوس: ربما لا أستطيع التحكم بعواطفي.

أندرشافت: ها هما الشفقة والحب قد ذهبا أدراج الرياح، بقي الغفران.

كاسوس: الغفران؟ لا...إنه ملجأ المتسولين.

أندرشافت: لقد بدأت تعجبني يا رجل..تعال وتذكر كلام أفلاطون.

كاسوس [يحدق به] أفلاطون؟ أنت تحفظ من كلام أفلاطون؟!

أندرشافت: نعم...قال أفلاطون يا صديقي: إن المجتمع لا يكون آمناً ما لـــم يصنع فلاسفة الإغريق البارود أو أن يصبح صانعوا البارود فلاسفة للإغريق.

كاسوس: أوه...حكمة ماكرة.

أندرشافت: هيا يا رجل..اختر..احسم أمرك.

كاسوس: قد لا ترضى باربارا بالزواج مني إذا أسأت الاختيار.

باربارا: معك حق.

كاسوس: أنت تسمعين؟

باربارا: أبي...هل تحب أحداً في هذه الحياة؟

أندرشافت: نعم...أحب صديقي المقرب.

الليدي برايتمورت: ومن هو صديقك المقرب؟

أندرشافت: ألد أعدائي..الرجل الذي يبقيني متيقظاً و حذراً.

كاسوس: هذا الرجل شاعر ولكن على طريقته الخاصة وربما كان فيلسوفاً أيضاً.

أندرشافت: كفاك تهكماً يا صديقي واحسم أمرك.

كاسوس: أنت تجرني عكس طبيعتي...أنا أكره الحروب.

أندرشافت: الكره هو انتقام الجبان من الذي يخيفه أو يهدده، ألا تريد شن حرب على الحرب؟ ها هي الوسائل...صديقي لوماكس جالس عليها.

لوماكس: [ينتفض واقفاً] أوه...هل تعني أن هذا المدفع الــذي أتكــئ عليــه مُذخّر؟ هيا نرحل من هنا يا حبيبتي.

سارة [جالسة باسترخاء على قذيفة مدفع ممددة على الأرض] لو شاء القــدر أن ينفجر هذا الشيء أريد أن أتناثر إلى أشلاء فهذا أفضل..اجلس يا كــولي ولا تخف.

لوماكس [إلى أندرشافت] هذه ابنتك!

أندرشافت: نعم..[إلى كاسوس] حسناً يا صديقي..هل انتظرك هنا غداً الساعة السادسة صباحاً؟

كاسوس: يستحيل أن أستيقظ الساعة الخامسة سآتي إلى هنا الساعة الحاديــة عشرة.

أندرشافت: تعال متى شئت...قبل أن ينقضي أول أســبوع ســتأتي الــساعة السادسة صباحاً وستظل هنا إلى أن أطلب منك الانصراف من أجــل صــحتك. [منادياً] بيلتون [مستديراً نحو الليدي برايتمورت التي نهضت واقفة مــن علــى ظهر المدفع التي كانت جالسة عليه] عزيزتي فلندع هذين الشابين هنا ولنــذهب لأصطحبكما في جولة في أرجاء مستوعب البارود [يخرج بيلتون من مستوعب البارود]

بيلتون: لا تستطيعون إدخال أي شيء قابل للانفجار يا سيدي.

الليدي برايتمورت: ماذا تقصد؟ هل تلمح إليّ.

بيلتون: لا يا سيدتي...أخذ السيد أندرشافت علبة كبريت ذلك السيد وأنا أذكره بها.

أندرشافت: معك حق يا بيلتون معك حق، ها هي العلبة..[يخرجها من جيبه ويعطيها لبيلتون] هيا يا ستيفن، هيا يا تشارلز أحضر سارة [يدخل قبلهم إلى المستوعب] يفتح بيلتون علبة الكبريت ويتلف أعواد الكبريت.

ستيفن [إلى كاسوس بجدية] فكر جيداً يا دولي قبل أن تقرر هل تشعر أنك رجل عملي بما فيه الكفاية مسؤولية ضخمة ستلقى على كاهلك.

كاسوس: لا أظن أن العمل هنا سيكون بالصعوبة التي تتخيلها.

ستيفن: أردت أن أنصحك قبل أن تتخذ قرارك ولا تدع شيئاً مما قلته حول الخير والشر يؤثر في هذه الفرصة العظيمة التي أُتيحت لك، لقد اقتنعت أن هذا العمل هو أحد الأعمال الجليلة التي تنفع الوطن [بعاطفة] وأنا فخور جداً بأبي. [ثم يدخل المستوعب ويلحق به بيلتون]

ينظر باربارا وكاسوس إلى بعضهما بصمت بعد أن تركا بمفردهما.

كاسوس: باربارا...سأقبل هذا العرض.

باربارا: اعتقدت أنك ستقبله.

كاسوس: لابد أنك تعرفين أنه يجب أن أقرر دون أن أستشيرك لأنني لو استشرتك فستكرهينني فيما بعد.

باربارا: نعم...أنا لا أريدك أن تبيع روحك من أجلي مجدداً.

كاسوس: لا يؤرقني هذا الأمر فقد بعتها مراراً عديدة قبل هذا ولم يعد يهمني الأمر، بعتها من قبل من أجل الدراسة ومن أجل المرتب، وما هي تصرفات الإنسان سوى بيع يومي للنفس من أجل توافه الأمور..أنا أبيعها الآن ليس من أجل المال ولا من أجل الراحة بل من أجل القوة.

باربارا: ولكنك تدرك أنه لن تصبح لديك سلطة ما مثله تماماً.

كاسوس: لا أريد القوة لمصلحتي الخاصة فقط بل لمصلحة العالم بأسره.

باربارا: وأنا أريد القوة للعالم بأسره ولكنني أريدها قوة روحية.

كاسوس: حاولت في الماضي اكتساب قوة روحية عن طريق تدريس اللغة الإغريقية ولكن يستحيل للعالم أن يتأثر بلغة ميته وبحضارة بائدة، القوة التي سأكتسبها من عملي هنا قوة مختلفة تماماً...قوة أستطيع من خلالها السيطرة على الناس.

باربارا: إنها قوة مدمرة تحرق المنازل وترمِّل النساء وتقتل الأبرياء.

كاسوس: لا تستطيعين حيازة القوة من أجل الخير دون حيازة القوة من أجل الشر أيضاً، حتى حليب الأمهات يربي القتلة كما يربي للأبطال، كما أن السلاح ليس هو مصدر القوة الوحيد في العالم هناك قوة الكلمة وأحياناً يكون للكلمة قوة أمضى من قوة السلاح، لقد تحداني والدك وأنا قبلت التحدي، سأشن حرباً ضد الحرب...والآن هل انتهى كل شيء بيننا؟

باربارا: [متأثرة من كلامه] أيها الصغير دولي السخيف. وكيف لي أن أفارقك؟

كاسوس [يكاد يطير من الفرحة] هل...هل معنى هذا...أوه..

باربارا: ليتني أهرب منك ومن والدي ومن كل شيء..ليتني أملك جناحي حمامة لأطير نحو الفردوس.

كاسوس: وتتركيني.

باربارا: نعم أتركك أنت وكل الرجال والأطفال المشاكسين ولكنني لا أستطيع كنت سعيدة في جيش الخلاص إذ هربت من العالم إلى فردوس الحماسة والصلاة وخلاص الروح، ولكن منذ اللحظة التي افتقدنا فيها إلى المال علمت أن المال يأتي من بودجر وأنه هو الذي يخلص أرواح الناس بماله الملوث. هو

وأمير الظلام والدي...تمتد أيدي أندرشافت وبودجر إلى كل مكان، نطعم الجياع من خبزهم، ونعالج المرضى في المستشفيات التي أنشؤوها، وندخل إلى الكنائس التي بنوها، وطالما استمر هذا فلا مهرب منهم، إدارة ظهرنا إلى بودجر وأندرشافت هو إدارة ظهرنا للحياة.

كاسوس: ظننت أنك كنت مصممة على إدارة ظهرك للجانب الشرير في الحياة.

باربارا: لا وجود لجانب شرير في الحياة فالحياة هو كلٌ متكامل، أتدري ما كنت فعلت لو لم تقبل عرض أبي.

كاسوس: ماذا؟

باربارا: كنت تركتك وتزوجت الرجل الذي قبل العرض..أمي ذكية أكثر منا كلنا..شعرت بنفس شعورها عندما رأيت هذا المكان، شعرت أنه يجب أن أملكه وأنه يجب أن لا أدعه يفلت مني، الفارق أنها رأت فيه فقط حدائقه الجميلة وبيوته الأنيقة وشوارعه النظيفة، بينما أنا رأيت فيه الأرواح البشرية التي يجب أن نأخذ بيدها للخلاص، ليست تلك الأرواح الضعيفة في الأجساد الجائعة التي تلهج بالشكر من أجل كسرة خبز، ولكن مخلوقات مشاكسة، متكبرة، مغرورة هؤلاء هم الذين يحتاجون الخلاص فعلاً...لن يقول لي والدي مجدداً أنني رشوت الضعفاء بكسرة من الخبز لكي يهتدوا إلى طريق الصواب.

كاسوس: إذاً فطريق الحياة يمر بمصنع الموت.

باربارا: نعم...عبر الجحيم إلى الفردوس [تمسك بكلتا يديه] أوه..هل ظننـــت أن شجاعتي لن تعود إليّ؟ أنا التي وقفت في الشوارع وعطفــت علـــى النـــاس وأرشدتهم إلى طريق الخلاص وتكلمت معهم بأقدس وأسمى الأمور يمكننـــي أن أدير ظهري إلى كل هذا وأثرثر بغباء مع الناس الذين لا همَّ لهم في الحياة سوى الموضة؟ أبداً..شكراً لك يا دولي لقد أوجدت عملاً لي عندك وبجانبك وشكراً لله.

كاسوس: يا حبيبتي.

[تستدير باربارا تريد دخول المستوعب وتنادي] أمي...أمي..

[يفتح بيلتون الباب ويخرج يتبعه أندرشافت] أريد أمي.

أندرشافت: ها هي خارجة [يجتازها ويتكلم مع كاسوس] حسناً...ماذا قالت؟

كاسوس: لا مانع لديها من أن أعمل عندك.

[تخرج الليدي برايتمورت يتبعها سارة و لو ماكس]

الليدي برايتمورت: ماذا تريدين يا صغيرتي؟

باربـــارا: أريد بيتاً في القرية لأعيش فيه مع دولي..[تجر أمها من تنورتهـــا] تعالي...أريني أيها أختار.

أندرشافت [إلى كاسوس]: أريدك أن تحضر غداً الساعة السادسة صباحاً إلى هنا.

كاسوس: [متنهداً] حاضر سيدي!.

النهاية

****

المحتوى	رقم الصفحة
الإهداء	٥
تقديم: بقلم محمد طريف فرعون	٧
الشخصيات	١١
الفصل الأول: صانع الأسلحة	١٥
الفصل الثاني: جيش الخلاص	١١
الفصل الثالث: بعد الاجتماع	١٦
الفهرس	١٤٣



دمشق - مجمع فكتوريا التجاري - تلفون ٢٢٣٢٣٢٦ فاكس ٢٢٤٨١٨٠ - ص. ب ٤٣٠٦